مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية

التوحيد

ALTAWHEED

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٤٣٦ - السنة السابعة والثلاثون ربيع الآخر ١٤٢٩هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً

من فتاوى الرافضي على الهواء

- ويلٌ للعَرَب مِنْ شرٍ قد اقتَرَبْ !
- وقفات مع حادثة سب الرسول ﷺ
- جنود الأرض والسماء تفدي سيد الأنبياء ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة السابعة والثلاثون
العدد ٤٣٦ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ

رئيس مجلس الإدارة
د. جمال المراكبي

المشرف العام
د. عبدالله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية
د. عبد العظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

جيوش الحلوى

لمَّا بلغ النبيَّ ﷺ استغاثةُ امرأة مسلمة كاد لها اليهود فانكشفت سوءتها، جَيَّش الجيوش، وشن على اليهود حربًا حتى أجلاهم عن المدينة المباركة.

ولمَّا بلغ الخليفة العباسي المعتصم استغاثة امرأة مسلمة تقول: وَامعتصماه.. جيَّش الجيوش وشن حربًا على الروم الظالمين.

وسمع مسلمو آخر الزمان بما يوجه إلى خير البرية وسيد البشرية ﷺ من إهانات، وسب، وشتم، وبذاءات... فجيشوا جيوشًا مثل الجيوش السابقة وأكثر.. من الخيول العظيمة التي عليها فرسانها تحمل سيوفها، لكنْ يبدو أن المعركة لم تبدأ بعد، فقد تبين أن جيوش الخيول والفرسان كانت من السكر المذاب وحلوى «العلف»!

فشتان بين الجيشين، وعليه فلا وجه للمقارنة بين السابقين السائرين على مناهج النبوة، والمدعين كذبًا وزورًا حب النبي ﷺ.

التحرير

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مفاجأة كبرى
لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٦مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٦سنة كاملة

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: شبهات حول القدر: الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: ويلٌ للعرب من شر قد اقترب: رئيس التحرير ٦
باب التفسير: تفسير سورة الغاشية: د/ عبدالعظيم بدوي ١٠
باب السنة: من البيوع المنهي عنها: زكريا حسينى محمد ١٣
دفاعٌ عن المرأة: أيمن دياب ١٧
درر البحار: على حشيش ٢١
مختارات من علوم القرآن: مصطفى البصراتي ٢٣
من فتاوى الرافضي على الهواء: د/ على السالوس ٢٥
الشيعة الرافضة تاريخ وحقائق: د/ عبدالله شاكر ٣٠
أوجه الشبه بين اليهود والرافضة: أسامة سليمان ٣٤
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
اتبعوا ولا تبتدعوا: الدعوة إلى الله وسلامة المعتقد:
معاوية محمد هيكل ٤٢
باب الأسرة: جمال عبدالرحمن ٤٧
القصة في كتاب الله: عبدالرازق السيد عيد ٥١
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
أسئلة القراء عن الأحاديث ٥٥
من فتاوى علماء الأزهر ٥٦
من الآداب الإسلامية: سعيد عامر ٥٩
الرزق بين الشك واليقين: صلاح نجيب الدق ٦١
حدث في مثل هذا الشهر ٦٥
وقفات مع حادثة سب الرسول ﷺ ٦٧
داعية فقدته الأمة ٧٠

م دار "الجمهورية" للصحافة

ثمن النسخة

مصر ١٥٠قرشا ، السعودية ٦ريالات ، الإمارات ٦دراهم ، الكويت ٥٠٠فلس ، المغرب دولار امريكي ، الأردن ٥٠٠فلس ، قطر ٦ريالات ، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢دولار ، أوروبا ٢يورو

الاشتراك السنوي

١ - في الداخل ٢٠جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢ - في الخارج ٢٠دولارا أو ٧٥ريالا سعوديا أو ما يعادل لهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠)

البريد الإلكتروني

المجلة :
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير :
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات :
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت :
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام :
WWW.ELSONNA.COM

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

٦٦٠ جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
٢٢٠ دولارلمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

شبهات حول

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

فإن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد حتى يعلم أن كل شيء بقدر، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وكل شيء عنده بقدر فالله سبحانه وتعالى رب العالمين ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ [الفرقان ٢].

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩].

قال الحافظ ابن حجر: هذه الآية نص في أن الله تعالى خالق كل شيء ومقدره وهي نص من قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢] وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦].

وقد اشتهر عن أهل العلم سلفاً وخلفاً أن هذه الآية نزلت في منكري القدر، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس».

والإيمان بالقدر من ربوبية الله عز وجل ولهذا قال الإمام أحمد: القدر قدرة الله.

أقسام الناس في القدر

والناس في القدر على ثلاثة أقسام: قسم غلوا في إثبات القدر وزعموا أن العبد لا قدرة له على اختيار أفعاله بل هو كالريشة في مهب الريح، يقول قائلهم:

القاه في اليم مكتوفاً وقال له   إياك إياك ان تبتل بالماء

ولم يفرق هؤلاء بين ما يقع من العبد باختياره وما يقع منه بغير اختيار منه وهؤلاء هم الجهمية الجبرية أتباع الجهم بن صفوان.

وقسم غلوا في إثبات قدرة العبد واختياره ونفوا أن يكون لله تعالى مشيئة في خلق ما يفعله العباد، حتى غلا بعضهم وزعموا أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وقوعها، وانحرف بعضهم فزعموا أن الله يعلم أفعال العباد ولكنه بيّن للناس سبيل الخير والشر والهدى والرشاد، وترك الناس يعملون، فنفوا عن الله سبحانه وتعالى الهداية والإضلال والتوفيق والخذلان، فالله عندهم لا يوفق عبده المؤمن إلى ما يحبه ويرضاه بل المؤمن هو الذي يسعى في مرضاة ربه بغير معونة من الله، والكافر هو الذي يسعى في سخط ربه بغير خذلان من الله عز وجل، وقالوا إن هذا هو مقتضى العدل الإلهي، وأن العبد المؤمن يدخل الجنة بمحض عمله لا بتوفيق من ربه واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٣٢] وهؤلاء هم المعتزلة القدرية.

وقد ظهر هؤلاء في أواخر عصر الصحابة كما روى مسلم في صحيحه من حديث يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به

القدر

بقلم د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهبًا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

والعجيب أن أصحاب هذين القولين المتناقضين في القدر قد اتفقا على نفي صفات الله عز وجل بدعوى أنهم ينزهون الله عز وجل عن مشابهة المخلوقات.

أما أهل السنة فقد هداهم الله عز وجل لما اختلف فيه من الحق بإذنه فساروا مع القرآن والسنة حيث سارا، ووظفوا عقولهم في فهم النصوص الشرعية لا في ردها ومعارضتها، وعلموا أنه لا يقع في الكون شيء إلا بمشيئة الله عز وجل، ولكنهم قسموا الأشياء إلى قسمين: قسم يقع بمشيئة الله ولا دخل لأحد فيه كالموت والحياة والصحة والمرض وكل ما يقع في السماوات والأرض مما لا اختيار للعبد فيه كجريان الريح وإنزال المطر وإنبات النبات وخلق الإنسان والحيوان.

وقسم آخر وهو ما يفعله الإنسان بإرادته واختياره كالطاعة والمعصية والسفر والإقامة والسعي في طلب الرزق وطلب العلم، وهذه الأشياء تقع من الإنسان بإرادته واختياره وعليها مناط التكليف قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [المزمل: ٢٨، ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

فالإنسان يفعل هذه الأفعال الاختيارية بمشيئته وإرادته واختياره، ولكن إرادته واختياره تابعة لمشيئة الله وإرادته، والمؤمن أحوج ما يكون إلى توفيق الله وهدايته ومعونته، ولهذا علمنا ربنا عز وجل أن نقول في صلواتنا: (إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم) [الفاتحة].

وعلمنا رسول الله ﷺ أن نقول بعد الصلاة «رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»

والله تبارك وتعالى يقول في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل إنسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» [مسلم].

ودخول الجنة ليس بمجرد طاعة العبد وعمله بل هو بتوفيق الله وهدايته ورحمته، ولهذا قال رسول الله ﷺ «لن يُدخل أحداً عمله الجنة، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟، قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة، فسددوا وقاربوا وأبشروا، وفي رواية فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا» [البخاري].

فاثبت النبي ﷺ دخول الجنة برحمة الله عز وجل وأمر في نفس الوقت بالعمل بالطاعات، والله سبحانه وتعالى حكم عدل حكيم عليم خبير لا يفعل الشيء إلا لحكمة بالغة، فلا يدخل الجنة إلا من كان أهلاً لرحمته، ولا يدخل النار إلا من كان أهلاً لعذابه، وتقف عقول البشر قاصرة وعاجزة عن إدراك هذه الحكمة البالغة لماذا أضل

هذا وقدر عليه العذاب، وهدى هذا ووفقه للنعيم؟ ولهذا فكل من خاض في مسألة القدر بعقله بعيداً عن النصوص فقد ضل وأضل عن سواء السبيل.

قال بعض أهل العلم: سبيل معرفة هذا الباب (القدر) التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختُص به الحكيم العليم الخبير به سبحانه، وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه سبحانه من الحكمة، فلم يعرفه نبي مرسل ولا ملك مقرب. اهـ

ولهذا قدر الله عز وجل الهداية لامرأة فرعون، وجعلها ممن كمل من النساء، وقدر الله عز وجل الضلالة على امرأة نوح وولده قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

لأجل هذا أمرنا رسول الله ﷺ ألا نخوض في هذا الباب بغير علم من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فقال فيما أخرجه الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه «إذا ذكر القدر فامسكوا».

شبهات حول القدر

وتبقى قضية الإيمان بالقدر من القضايا التي تثور حولها الشكوك والشبهات، ولا تزول هذه الشكوك والشبهات إلا بالعلم واليقين والتسليم لحكم الله عز وجل وحكمته، ومن هذه الشبهات ما طرأ على قلوب بعض أصحاب النبي ﷺ وهم خير قرون الأمة وأعلمهم وأتقاهم، ومنها ما يطرأ على قلوب الناس من بعدهم.

- الشبهة الأولى: لماذا العمل ؟

إذا كان الله عز وجل قد علم أهل الجنة وأهل النار فلماذا يعمل العاملون ؟ فإذا كان الرجل من أهل النار لا ينفعه عمل صالح عمله، وإذا كان الرجل من أهل الجنة فما حاجته للعمل ؟وقد ثارت هذه الشبهة في قلوب بعض أصحاب النبي ﷺ فقالوا: ففيم العمل إذاً يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»

عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى» [الليل ٥- ١٠] [رواه مسلم].

وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء سراقة بن مالك قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم ؟ أفيم جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيم نستقبل ؟ قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل ؟ فقال: (اعملوا فكل ميسر) [رواه مسلم].

وعن عمران بن حصين قال: قيل: يا رسول الله، أعُلِم أهل الجنة من أهل النار ؟ فقال: «نعم» قال: قيل ففيم يعمل العاملون ؟ قال: «كل ميسر لما خلق له». [رواه مسلم].

فالهداية والإضلال ودخول الجنة والنار بتقدير الله عز وجل، والعمل بطاعة الله عز وجل بتوفيقه سبحانه ولهذا أمرنا رسول الله ﷺ بالعمل وقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ونهانا ﷺ عن العجز والتواكل، فلا ينبغي لعاقل أن يترك العمل ويقول: «ففيم العمل ؟» خاصة وأن الإنسان لا يدري ولا يعلم ما قُدِّر له، فلا ينبغي عليه أن يترك العمل الذي أمره الله عز وجل به اتكالاً على القدر الذي لا يعلمه، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بحسن العمل وترك العجز والكسل فقال: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان. [رواه مسلم].

- الشبهة الثانية: أفلا يكون ظلماً ؟

قد تقع هذه الشبهة في قلوب البعض فيتساءل في نفسه قائلاً: إذا كان الله قد علم أهل الجنة وأهل النار قبل أن يخلق السماوات والأرض أفلا يكون ظلماً لأولئك الذين قدر عليهم العذاب والخلود في النار ؟

ورد هذه الشبهة باليقين بأن الله عز وجل حكم عدل، لا يظلم الناس مثقال ذرة، وأنه سبحانه حرم الظلم على نفسه، وقد أورد الصحابي الجليل عمران بن حصين هذه الشبهة على بعض تلامذته ليختبر ما عنده من العقل والإيمان واليقين، ففي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر مًا سبق ؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلما؟ قال ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله؛ أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقال: «لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز و جل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس ٧- ٨].

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجة بإسناد صحيح عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ وَقَعَ فِى نَفْسِى شَىْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَىَّ دِينِى وَأَمْرِى فَأَتَيْتُ أُبَىَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِى قَلْبِى شَىْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِى وَأَمْرِى فَحَدِّثْنِى مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِى بِهِ. فَقَالَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ وَلاَ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِىَ أَخِى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ. فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَىٌّ، وَقَالَ لِى: وَلاَ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِىَ حُذَيْفَةَ. فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالاَ، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَاسْأَلْهُ. فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ».

فقد تقع الشبهة للمؤمن التقي، ولا تزول مثل هذه الشبهات إلا بالعلم النافع، ولهذا لما وقعت الشبهة في قلب عبد الله بن فيروز الديلمي وهو تابعي جليل وخاف أن تفسد عليه دينه وأمره توجه إلى أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ، فأزالوا عنه اللبس ورفعوا عنه الشبهة بما وقر في قلوبهم من علم نافع أخذوه عن رسول الله ﷺ وأجمعوا عليه، فالله سبحانه وتعالى حكم عدل لا يظلم الناس شيئاً، ولو فُرض جدلاً أنه عذب أهل سماواته وأرضه، وهذا فرض جدلي غير واقع، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، وبما يستحقون من سوء عملهم، والله تبارك وتعالى هو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ولا يدخل أهل الجنة الجنةَ إلا برحمته، فالمؤمن يثق في عدل الله وأنه لا يظلم الناس شيئاً بل يضاعف لعباده ثواب عملهم، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عز وجل له حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عز وجل له حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها له سيئة واحده.

وقد قال بعض سلفنا الصالح: عجباً لمن غلبت آحاده عشراته، وانظر إلى فضل الله ورحمته كيف أكد الحسنة فكتبها كاملة، وكيف قلل السيئة فكتبها واحدة، ثم فتح لعباده باب التوبة على مصراعيه لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، وحتى تصل الروح إلى الحلقوم، وأخبر عباده التائبين أنه يبدل سيئاتهم حسنات، فكيف يقع في قلب عاقل أن من سبقت رحمته غضبه ومن حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً أن يظلم عبده، سبحانك هذا بهتان عظيم.

هذه بعض الشبهات التي تعرض في باب القدر وغيرها كثير لا يندفع عن الإنسان إلا بالعلم واليقين وحسن التوكل على الله وإخلاص العمل له، فمن سعى في مرضات الله عز وجل مخلصاً راغباً راهباً فلن يخذله الله، ومن أعرض وأبى فلا يلومن إلا نفسه.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصل اللهم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

كلمة التحرير

ويلٌ للعرب مِن شرٍّ قد اقتَرَبْ

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة ببعثة سيد المرسلين ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نظير له، تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا، وبعد...

فإن المعاصي والمنكرات هي الداء العضال، والوباء القتّال، الذي به خراب المجتمعات وهلاكها، وإن التفريط في تغيير المنكرات ومكافحتها والقضاء عليها من أعظم أسباب حلول العقاب ونزول العذاب، فعن أم المؤمنين أم الحسن زينب بنت جحش- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا وهو يقول: «لا إله إلاَّ الله، ويلٌ للعَربْ من شَرٍ قد اقترب، فُتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه» وحلق باصبعه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله: «أنهلك وفينا الصالحون» قال ﷺ: «نعم إذا كثر الخبث». «متفق عليه».

وقال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه؛ إلا عمهم الله تعالى منه بعقاب» [صحيح الجامع ٥٧٤٩].

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى بعض عماله أما بعد: «فإنه لم يظهر المنكر في قوم قط ثم لم ينههم أهل الصلاح بينهم إلاَّ أصابهم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده، ولا يزال الناس معصومين من العقوبات والنقمات ما قُمِعَ أهْلُ الباطِل واستخفى فيهم المحارم».

فتن تصيب الأمة في مقتل!!

وَيْلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب... والأمة الإسلامية تَمرُ بفتنٍ عظيمة تَنَوَّعَتْ أسبابها واختلفت موضوعاتُها وتعددت مصادرها، فتَنٌ في الدِّين والعقيدة، في السياسة والإدارة، في الاقتصاد والاجتماع، في العقول والنفوس، في الأولاد والأعراض، فتَنٌ يعيشها المسلمون يكمن في طيَّاتها تحسين القبيح وتقبيح الحسَن، تحمل الهجمة على الدين وأهله، تزخرف الباطل وتُروِّجُ له، وتحاول محو الحقّ وإبعاد الناس عنه، ديدنها الهدم والتخريب والتحريش والتَشْويش، فتَنٌ قولية وأخرى فعلية، تُنْشَرُ بأسباب متطورة ووسائل سريعة في وقتها وتأثيرها، فتَنٌ تعاظَم اليوم خطرها وتطاير شَرَرُها وتزايد ضَرَرُها، فتَنٌ نالت من جزئيات الدين وفرعياته وامتدت إلى أصوله وأركانه،

وتطورت من دخولها على الأفراد إلى دخولها على المجتمعات، فتنٌ يُوشك أن تنال كثرة كاثرةً من أبناء العرب والمسلمين.

وَيْلٌ للعربِ من شرٍ قد اقتربْ... بالأمس القريب عقد مؤتمر القمة العربي، والذي عُقِدَ في سوريا والذي أظهر حالة الضعف والهوان التي تعيشها الأمة العربية التي أبت أن تتفق على أن يجلس قادتها وزعماؤها.. ليراجعوا حال الأمة وشعوبها، التي تنظر إلى ما يحدث بعين الحزن والأسى على ما آل إليه أمرها، وتقطع أوصالها بين توزيع للاتهامات بين قادة الأمة العربية، وضغوط ومؤامرات، وفتنٌ وخلافات تصب في بوتقة تمزيق الأمة، والسيطرة عليها، ونهب ثرواتها واحتلال أرضها، وها هي العراق تئن تحت الاحتلال الأمريكي ومن عاونوه ممن يكيدون للأمة الإسلامية، والقمة تنعقد وتنفضّ دون أن تتجرأ على إصدار بيان تُثلج به صدور شعُوبها، والمشهد يبدو أكثر كآبة فها هي لبنان على بعد كيلو مترات من المجتمعين تعيش وسط حالة من الفوضى، وانقسامات داخلية وتدخلات خارجية تخطط لتمزيق لبنان، وافتعال حربٍ طائفية تجُرُّ من حولها البلاد المجاورة، وانقسام داخلي بين الفلسطينيين واقتتال بين «الفتحاويين» و«الحمساويين» ومن يؤازرهم، وخنازير اليهود يؤججون الفتن لشغل الفلسطينيين والعرب من حولهم، وتمييع القضية الفلسطينية، كل ذلك والشعوب تعيش حالة من الضعف والهوان، في انتظار أن يصدر عن قادتهم قرارات قوية ضد من يوجهون سهامهم وأحقادهم إلى دينهم ومعتقداتهم وإلى رسولهم ﷺ بدلاً من توجيه الاتهامات بالعمالة والتبعية لأمريكا وإسرائيل والدول العربية من حولهم.

والواجب على حكام المسلمين ومحكوميهم في شتى بلدان المسلمين وهم يعيشون الفتن من كلِّ جانب أن يعلموا أن ما أصابهم من محن وبلايا هو بما كسبت أيديهم ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

الغرب يُعبر عن حقده...ويكشف عن نواياه !!

ويلٌ للعربِ من شرٍ قد اقترب... صبيحة كل يوم نسمع ونرى صورة من صور الحقد الغربي على الإسلام والمسلمين، وتحت شعار حرية التعبير المزعومة، باتت الإساءات للدين الإسلامي أمرًا معتادًا في الغرب، فهل حرية الرأي المزعومة عند أعداء الإسلام تعني الإساءة للإسلام والتطاول على سيد الأنام وإلحاق الأذى بمليون مسلم هولندي، وأكثر من مليار ونصف المليار مسلم.

فقد كشر النائب الهولندي اليميني المتطرف عن أنيابه، وأظهر حقده الدفين بعد أن بث فيلمه المسيئ للإسلام والمسلمين والذي يهاجم فيه القرآن الكريم ويشوهه، لتنفير الشعوب القريبة من الإسلام بعد أن لوحظ الإقبال الهائل على دين الله.

ومعلوم أن الافتراء على القرآن الكريم قديم منذ بدأ نزول القرآن على سيد البشرية محمد ﷺ، وأن الله قد توعد الذين يحادون الله ورسوله بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢٠، ٢١].

تحت شعار حرية التعبير التي يزعمها أعداء الإسلام، باتت الإساءة للإسلام والمسلمين أمرًا معتادًا من الغرب، فهل هذه الحرية المزعومة تعني الهجوم على دين الله والتطاول على سيد الأنام والحاق الأذى بمليون مسلم هولندي، وأكثر من مليار ونصف المليار مسلم؟

> لقد أظهر مؤتمر القمة العربي والذي عقد مؤخرًا في سوريا حالة الضعف والهوان والتفرق التي تعيشها الأمة الإسلامية والعربية والتي أبى زعماؤها وقادتها أن يتفقوا فيما بينهم على كلمة سواء

وبين سبحانه أن مآل سعيهم إلى حسرة ودمار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وإن مواجهة الدس على القرآن الكريم والافتراء عليه تكون بالإقبال على حفظه ودراسة علومه وتدبر معانيه، والحرص على التمسك بأحكامه، وهذا دأب المسلمين في العناية به، وهم مطالبون اليوم باليقظة الشديدة لما يحاك من مؤامرات ضد الإسلام، ومطالبون بالتمسك بكتاب ربهم استجابة لأمر الله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

إن الذود عن دين الله العظيم، وكتابه الكريم من الفروض الواجبة، كما أن بيان محاسن الدين لغير المسلمين واجب أيضًا، وعلى المسلمين وحكوماتهم ومنظماتهم، ووسائل إعلامهم تحقيق أعلى درجات التعاون فيما بينهم للتعريف بالإسلام، والاعتزاز به على رؤوس الأشهاد دونما أدنى حرج ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

ومن العجب أن الحكومة الهولندية التي ترفع شعار «حرية التعبير عن الرأي» أن تكون لديها ترسانة من القوانين القاسية التي تستخدم ضد الأجانب، وضد كل من يجرؤ على انتقاد اليهود أو الشواذ أو من يمارس سلوكًا عنصريًا، وهناك واقعة مشهورة شهدتها هولندا خلال السنوات القليلة الماضية عندما سئل إمام «مسجد النصر» الشيخ المغربي خليل الميموني في مدينة روتردام في إحدى البرامج عن رأيه في الشذوذ الجنسي فقال بالعربية إن هذا مرض إذا أصاب مجتمعًا أهلكه، ظلت تصريحات الشيخ بعدها بعد ترجمة كلمة «مَرَضْ» إلى معناها العضوي هي الخبر الأول في وسائل الإعلام على مدى شهرين متتالين، كما قُدمت ضد الشيخ مئات الشكاوى للشرطة، وتمت محاكمته في ذلك الوقت ولم تعترف هولندا بمبدأ «حرية التعبير».

وفي الأيام الماضية سحبت فرنسا رخصة البث من قناة المنار على القمر الأوروبي «يوتلسات» بزعم أنها ضد السامية، ولم يخرج أحد يومها ليقول إن للقناة الحق في «حرية التعبير».

واللافت للنظر أن فيلم «فتنة» المسيئ للإسلام قد حقق فشلاً ذريعًا بسبب نجاح المسلمين في هولندا بتجاهله، بل والعالم كله لم يعره اهتمامًا.

وإذا كان بث الفيلم المسيئ على النت يأتي في توقيت خطير تكالبت فيه قوى الأعداء على الإسلام والمسلمين والإساءة لنبي رب العالمين في نفس الوقت التي تعلن فيها قوى الحقد والكراهية في الغرب شرقًا وغربًا عن تأكيدها على حماية إسرائيل وبذل الغالي والنفيس في الذود عنها وحمايتها من أعدائها من العرب والمسلمين في أنحاء العالم، وما كان ذلك ليحدث إلاَّ نتيجة للضعف والهوان الذي آل إليه حال الأمة، وبعدها عن دينها وعن كتاب ربها.

حلقة جديدة من مسلسل الإساءة!!

فعلى الرغم من الاحتجاجات العنيفة التي شهدتها البلاد الإسلامية بعد إعادة نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ يروج المحافظون الجدد، والمتشددون في

الولايات المتحدة الأمريكية لفيلم جديد يصف الإسلام بأنه أعنف ديانة على وجه الأرض، وهو فيلم وثائقي مناهض للإسلام وعنوانه «الإسلام.. وما يحتاج الغرب أن يعرف». وعلى الرغم أن إنتاجه كان في عام ٢٠٠٦م إلاَّ أن دوائر المحافظين الجدد، من الأصوليين المسيحيين في أمريكا تعاود هذه الأيام الترويج المكثف لهذا الفيلم الذي أنتجته شركات الإنتاج منذ عامين وهي شركة أنشئت خصيصًا في عام ٢٠٠٥ لإنتاج هذا الفيلم الذي يباع في كبرى محلات الكتب الأمريكية، ويقع الفيلم في ستة أجزاء كلها تدور حول ادعاء أن الإسلام ليس دين سلام، وإنما هو دين عنف بطبيعته، ويحاول الفيلم ربط الإسلام بالإرهاب، ويعرض مقابلات هادئة يتحدث فيها برصانة واتزان مجموعة من أشد المتطرفين الأمريكيين والأوروبيين المناهضين للإسلام، والذين يقدمهم الفيلم على أنهم خبراء بارزون في الإسلام، ومن هؤلاء الأصولي المسيحي «روبرت ستبسر» «وسيرج ترنكوفيتش». الذي كان متحدثًا باسم حرب البوسنة أثناء حربهم ضد المسلمين في التسعينات، وشخص يطلق على نفسه اسم «عبدالله العربي» صاحب دار نشر للكتب التبشيرية والتنصيرية والتي تقارن بين الإسلام والمسيحية توزع من ولاية كاليفورنيا، وشخص آخر يعرف نفسه بأنه إرهابي سابق اسمه «وليد شوبياط» تحول إلى المسيحية الإنجيلية فيما بعد وكذلك الكاتبة اليهودية التي ولدت في مصر «بت ياور»، والتي تكْتب أحيانًا باسم يهودية مصرية.

إن الناظر في أحوال المسلمين وما يحاك بهم من مؤامرات وما يقع عليهم من ظلم على كل الأصعدة ليجعل الأمة بما تملك من رصيد هائل من مقومات الاعتزاز بدينها أن تكون أمة واحدة معتصمة بالله مستمسكة بمصدر قوتها وسعادتها ليتحقق لها أملها المنشود ويعود لها مجدها المفقود

على المسلمين أن يراجعوا أنفسهم ويصححوا أوضاعهم!!

إن الناظر في أحوال المسلمين وما يحاك بهم من مؤامرات وما يقع عليهم من ظلم على كل الأصعدة ليجعل الأمة بما تملك من رصيد هائل من مقومات الاعتزاز بدينها أن تكون أمة واحدة معتصمة بالله مستمسكة بمصدر عزها وسعادتها ليتحقق لها الأمل المنشود ويعود لها مجدها المفقود.

كذلك ينبغي عودة الناس إلى علماء الأمة خاصة الشباب منهم حتى يشملهم العلماء برعايتهم وتبصيرهم بأمور دينهم، فالعلماء هم ملاذ الأمة عند أزماتها وشدائدها، والأخذ عنهم وتحري أقوالهم، والوقوف عند آرائهم فيه نجاة الأمة، فالله جل وعلا يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣]. فلا يأس ولا قنوط عند من صدق مع الله جل وعلا، وحقق الإيمان به وبرسوله الأمين ﷺ مع الأخذ بالأسباب المأمور بها، فالله جل وعلا يقول: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

فالفتن تظهر مقدار الإيمان في القلب وصلابة العقيدة في النفس، فاصدقوا مع الله، وأروا الله من أنفسكم خيرًا، واعتصموا بالله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير.

اللهم ارفع عنا البلاء وانصرنا على الأعداء، ومكن لدينك في الأرض، وافتح له قلوب الناس، آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سورة الغاشية

يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية].

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

بين يدي السورة

سورة مكية تناولت موضوعين أساسيين:

الأول: القيامة وأهوالها وانقسام الناس يومها قسمين ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

والثاني: مظاهر قدرة الله تعالى ووحدانيته.

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ وهي الداهيةُ العظيمةُ التي تغشى الناس جميعًا، والمراد بها الساعة، كما قال تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، والسؤال للتشويق والترغيب في الاستماع. وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ أي ذليلةٌ، ومهانةٌ، خاضعةٌ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ أي تعمل في النار عملًا يصيبها منه النصب والتعب، وعمل أهل النار أعاذنا الله وسائر المسلمين هو صعودهم فيها إلى جبال عالية ثم نزولهم، وهكذا، قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]. فهو يعمل في هذا الصعود والنزول حتى يمسه النصب، والصعود فوق ظهر هذه الأرض مرهق، فكيف بالصعود في جهنم؟ وكيف بالصعود إذا كانت الأيدي والأرجل مقيدة؟ كما قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ أي حارة شديدة الحر. ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤]، أي: شديد الحر، قد انتهت درجة غليانه، تُرى ماذا يصنع هذا الماء في بطون القوم؟ قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. هذا شرابهم! أما الطعام فـ ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، وهو نبتةٌ تنبت في البادية يعرفها العرب ويسمونها الشُبرُق تأكلها الإبل وهي خضراء فإذا يبست سميت «الضريع» وصارت سامة، ولذلك لا تأكلها الإبل إذا يبست ولقد استهزأ المشركون بهذا الوعيد كما

استهزؤا من قبل بشجرة الزقوم وقالوا: الضريع تاكله الإبل فتسمن ؛ فقال تعالى: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ والإنسان ياكل الطعام لغرضين: ياكل ليسد الجوع وياكل للسمنة. وطعام أهل النار لا يحقق لهم شيئًا من ذلك، بل لا يسمن ولا يغني من جوع. وهنا إشكال وهو: كيف يقول الله هنا ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وقد قال في سورة الحاقة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦].

فالآيتان كل منهما أفادت أنهم ليس لهم إلا المذكور في كل آية، والمذكور فيهما ليس واحدًا، مما يفيد التعدد، ولفظ الآيتين يفيد الحصر، فكيف يزال هذا الإشكال ؟ قال العلماء: إن النار دركات ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾

[الحجر: ٤٤].

ولأهل كل قسم طعام خاص ليس لهم غيره، عافانا الله والمسلمين من هذا كله. ولما ذكر الله تعالى حال الأشقياء وصفة وجوههم أتبعه بذكر حال السعداء وصفة وجوههم فقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ إلخ. وهذا السياق في الجمع بين القسمين قد تكرر في القرآن الكريم في مواضع كثيرة.

وقوله تعالى هنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أي يعرف فيها النعيم وإنما يعرف النعيم في الوجه إذا كان القلب مسرورًا، وقد جمع الله بين الأمرين فقال عن الأبرار: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]. يعني سرورًا في قلوبهم ونضرة على وجوههم وإنما نالوا هذا النعيم بسعيهم، ولذا قال تعالى: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ كما يقال: عند الصباح يحمد الناس السرى، فأهل الجنة يوم القيامة يرضون عن سعيهم الذي بلَّغهم هذا النعيم. وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: رفيعة بهية، في غرفات بعضها فوق بعض. وقبل أن يذكر ربنا سبحانه ما في الجنة من نعيم حسي يذكر ما فيها من النعيم المعنوي فيقول: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أي: لا فيها لغو ولا زور ولا كذب ولا صخب ولا ضجيج ولا قرقعة، وإنما سكون تام وهدوء كامل والكلام المسموع فيها كل سلام وأمان .وهذه نعمة كبيرة يقدرها أهل الجنة ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. يقدرون هذه النعمة لأنهم عانوا في الدنيا من اللغو والتأثيم وهم الآن في الجنة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]. فهم فرحون بهذا النعيم فرحهم بغيره من نعيم الجنة الحسي أو يزيد.وقوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أي سارحة والعين تعشق رؤية الماء الجاري، والأذن تعشق خريره، والنفس تستريح لما تراه العين من الجمال ولما تسمعه الأذن من الأصوات الهادئة، وفي الجنة عيون لا عين واحدة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥]. وإنما قوله هنا: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ اسم جنس. وقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]. أي عالية رفيعة، ناعمة كثيرة الفرش عليها الحور العين. ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ أي حاضرة مصفوفة لا يطلبونها ولا يفقدونها ولكنها حاضرة دائما. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ و الزرابي هي البسط والسجاجيد والنمارق هي الوسائد وهي أسماء فقط مشتركة بين ما في الجنة وما في الدنيا وشتان بين السمي والمسمي.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: هذه بعض مظاهر قدرة الله تعالي، التي يستدل بها علي استحقاقه للعبادة دون سواه كما يستدل بها علي قدرته علي إحياء الموتى وبعث من في القبور ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وإنما خصت الإبل بالذكر لأنها تختلف في خلقها عن خلق سائر الأنعام، وهي أنفس أموال العرب وأحبها إليهم، وهي سفينة الصحراء كما يسمونها ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾

[النحل: ٧].

وهي مع عظمتها وقوتها تنقاد لمن يقودها ولو كان صبيًا وذلك من تذليل الله لها كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا

يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١- ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ فمن الذي رفعها ؟ ومن الذي يمسكها أن تقع علي الأرض ؟ إنه الله سبحانه ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ﴾ [فاطر: ٤١]،

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[الحج: ٦٥]. ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ لئلا تميد الأرض باهلها كما قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢]، وقال ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١].

﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي بسطت ومدت ومهدت، فنبه البدويَّ علي الإستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته علي قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الإله الذي يستحق العبادة دون سواه وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله ﷺ كما رواه مسلم. عن أنس بن مالك قال: نهينا أن نسال رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيساله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد؛ أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال: صدق. قال: فمن خلق السماء ؟ قال: الله. قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله. قال: فمن خلق هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال: الله. قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال ,آلله أرسلك ؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال: «صدق» قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا.قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا. قال: «نعم»: قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟. قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا. قال: «صدق». قال: ثم ولىّ. قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن. فقال ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة». ا هـ من تفسير ابن كثير.

ولما لفت الله أنظار العباد إلي مظاهر قدرته أمر نبيه ﷺ بان يذكر فقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ فذكرهم بأيام الله وذكرهم بآياته وذكرهم بنعيم الجنة لعلهم يطمعون فيها فيؤمنوا وذكرهم بعذاب النار عساهم يخشونها فيقلعوا، عن الكفر. ف ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. و﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ فانت لا تملك قلوب العباد حتي تقهرها علي الإيمان وحتي تجبرها علي اتباعك وهذه حقيقة طالما نبه الله نبيه عليها. ذلك أن النبي ﷺ بشر والرغبة البشرية الملحة في انتصار الحق وانتشار دعوة الخير تجعل النبي ﷺ يحمل همّ الناس ويتقطع قلبه عليهم حسرات حين يرفضون دعوة الخير، والله سبحانه يريد لنبيه ﷺ وللدعاة بعده أن يريحوا أعصابهم ويعفوها من حمل هذا الهم. فقلوب العباد بيد الله سبحانه إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها، فليؤد الدعاة واجبهم في الدعوة وليتركوا النتائج إلي الله صاحب الدعوة، فإن وجدوا استجابة فذلك من فضل الله عليهم وعلي الناس، وإن أعرض الناس فما عليهم من حسابهم من شيء ﴿إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾ يعني من تولى عنك وكفر بما جئت به، فسوف يعذبه الله العذاب الأكبر، يعني عذاب جهنم - والعياذ بالله - فالله سبحانه يعذب الكافرين في الدنيا بانواع من العذاب مختلفة. يعذبهم بالبأساء والضراء.بالأسقام والأوجاع. بالقتل والتعذيب والتشريد، ونحو ذلك.فمن تاب تاب الله عليه ومن كفر رد إلى العذاب الأكبر في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي مرجعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

من البيوع المنهي عنها

بيع العينة

بيع العُرْبان

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فلا يزال حديثنا موصولاً عن البيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله ﷺ، فنقول مستعينين بالله:

١٣- بيع العينة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوفِيَهُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أربعة مواضع من كتاب البيوع من صحيحه بالأرقام: (٢١٢٤، ٢١٢٦، ٢١٣٣، ٢١٣٦)، كما أخرجه الإمام مسلم (١٥٢٧)، وفي البيوع (٣٤، ٣٧)، وأخرجه الإمام أبو داود في البيوع (٣٤٩٢، ٣٤٩٥)، والإمام النسائي في البيوع (٤٩٩-٤٦٠٠)، والإمام أحمد في المسند (٢/١١١)، والإمام مالك في الموطأ (٦٤٠).

شرح الحديث

المراد ببيع العينة:

هو بيع المقصود منه أن يكون صلة للقرض بالربا.

وصورته: أن يبيع شخص سلعة بثمن أجل ولم يقبض، ثم يشتريه في نفس الوقت من المشتري بثمن حالٍ أقل من الثمن الذي باعه به أو إلى أجل آخر كذلك، وفي نهاية الأجل المحدد في العقد الأول يدفع الثمن الأول كله، والمراد منه أن يحصل المشتري على قرض من البائع، فيكون القرض بين الثمن الأجل والحال هو الزيادة الربوية، يستفيد منها صاحب المتاع الأول الذي باعه بيعًا صوريًا لا حقيقة له.

ومثال ذلك أن يبيع شخص لآخر جهازًا أو نحوه من السلع بألف مثلاً مؤجلاً إلى عام أو أقل أو أكثر، ثم يبيع المشتري هذا الجهاز نفسه إلى بائعه الأول بثمانمائة تدفع حالاً إلى المشتري الأول، وفي نهاية الأجل المحدد بينهما لدفع الثمن في العقد الأول يدفع المشتري الثمن كاملاً، فيكون الفرق بين الثمنين الألف والثمانمائة ربًا لصاحب الجهاز الذي يبيع بيعًا صوريًا، وهكذا نرى أن الصفقة عبارة عن تحايل على الإقراض عن طريق البيع والشراء.

وربما وسَّط المتعاقدان بينهما شخصًا ثالثًا يقوم بعملية الشراء للعين بثمن حالٍّ من مريد الاقتراض بعد أن اشتراها من مالكها المقرض، ثم يبيعها للمالك الأول الذي باعها بالثمن الأول، فيكون الفرق ربًا له.

هذا، وقد اختلف العلماء في الحكم على هذه الصورة الأخيرة:

فعند أبي حنيفة- رحمه الله تعالى-: أنه عقد فاسد إن خلا من توسط شخص ثالث بين المالك المقرض والمشتري المقترض، وهنا خالف أبو حنيفة أصله الذي يقتضي القول بصحة هذا العقد، وذلك استحسانًا؛ لأن الثمن إذا لم يستوف لم يتم البيع الأول، فيصير البيع الثاني مبنيًا عليه، فليس للبائع الأول أن

يشتري ممن لم يمتلكه بعد، فيكون البيع الثاني فاسداً.

وأما أبو يوسف فقال: هذا البيع صحيح بلا كراهة، وقال محمد بن الحسن: إنه صحيح مع الكراهة حتى إنه قال: هذا البيع في قلبي كأمثال الجبال ذميم، اخترعه أكلة الربا.

وأما الشافعي- رحمه الله تعالى- فعنده هذا العقد صحيح مع الكراهة ؛ لتوافر ركنه وهو الإيجاب والقبول الصحيحان، ولا عبرة في إبطال العقد بالنية التي لا نعرفها ؛ لعدم وجود ما يدل عليها ؛ أي أن القصد الآثم لا يعرفه إلا الله تعالى، والحكم على ظاهر العقد شيء آخر، لذا فإنه يحمل العقد على عدم التهمة.

وأما المالكية والحنابلة فإن هذا العقد عندهم يقع باطلاً سدًا للذرائع، ولما روي من قصة زيد بن أرقم رضي الله عنه مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي: أن العالية بنت أيفع قالت: دخلت أنا وأم ولد زيد بن أرقم وامرأته على عائشة رضي الله عنها، فقالت أم ولد زيد بن أرقم: إني بعت غلامًا من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم إلى العطاء، ثم اشتريته منه بستمائة درهم (أي حالّة)، فقالت عائشة رضي الله عنها: بئسما شريْت وبئسما اشتريْت، أبلغي زيدًا أنه أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إن لم يتب، كما استدلوا بحديث: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاءً فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم». واستدلوا أيضًا من جهة المعقول بالقياس على الذرائع المجمع على منعها بجامع أن الأغراض الفاسدة في كل منها هي الباعثة على عقدها، لأنه المحصل لها.

قال أبو عمر بن عبد البر: وتفسير ما ذكره مالك وغيره في ذلك أنها ذريعة إلى دراهم بدراهم أكثر منها إلى أجل، ودنانير بدنانير أكثر منها إلى أجل.

وهكذا نرى أن التحايل على الربا واضح في صورة العينة، وقد حذر منه رسول الله ﷺ، وبيّن لنا أن هذه الصور المنهي عنها إذا تعامل الناس بها فإن الله تعالى ينزل بهم البلاء، والمسلمون تنزل بهم البلايا والفتن من غلاء العيش وضنكه وضيق الصدور، وظهور الأوجاع والأمراض وانتشارها، وتسلط الأعداء عليهم، ونزول الذل بهم، وذلك بسبب الإعراض عن دين الله تعالى، وعدم المبالاة بالمكاسب.

ولقد بيّن الرسول ﷺ أن هذا البلاء لن يُرْفَعَ حتى يرجع الناس إلى دينهم، والله تبارك وتعالى بيّن لنا في كتابه العزيز أن ما يصيب الناس إنما يكون بسبب ما كسبت أيديهم من المخالفات الشرعية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى].

وشرع الله تعالى فيه الحلول التي تحول بين الناس وبين المحرمات، فمن ابتاع ذهبًا بذهب أو غيره من الأصناف الربوية وجب عليه فيه التماثل والتقابض، ومن اشترى جنسًا منها بجنس آخر، وجب فيه التقابض وانتفى إيجاب المثلية، وعلى تجار الذهب ألا يتعاملوا بمبادلة الذهب بالذهب مع الزيادة، وقد أوجد لهم الشرع الحل في أن يشتري التاجر ممن أراد البيع ذهبه ويعطيه ثمنه، ومن ثم يشتري بنقوده ذهبًا فتكون صفقة غير الصفقة، كما قال رسول الله ﷺ في التمر: «بع الجمع بالدرهم واشتر بالدراهم جنيبًا».

وفي هذه الصورة- صورة العينة- نجد الرسول ﷺ ينهى المسلم أن يبيع ما اشتراه قبل أن يقبضه. قال أبو عمر بن عبد البر بعد ما ساق النصوص وأقوال الفقهاء في المسألة:

وتفسير ما ذكرنا في العينة:

فأما لفظ نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «من ابتاع طعامًا فلا يبعه حتى يستوفيه». ولفظ عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «من ابتاع طعامًا فلا يبعه حتى يقبضه». فالمعنى في ذلك سواء، لأن الاستيفاء بالكيل والوزن هو القبض لما يكال أو يوزن.

١٤- بيع العُرْبان

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع العُرْبانِ.

هذا الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٦٠٩)، وأخرجه الإمام أبو داود في البيوع باب في بيع العربان برقم (٣٥٠٢)، والإمام ابن ماجه في التجارات باب بيع العربان برقمي (٢١٩٢، ٢١٩٣)، وكذا رواه الإمام أحمد في المسند (٢/١٨٣).

شرح الحديث

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار: قال مالك: وذلك فيما نرى- والله أعلم- أن يشتري الرجل العبد أو الوليدة، أو يتكارى الدابة، ثم يقول للذي اشترى منه أو تكارى منه: أعطيك دينارًا أو درهمًا أو أكثر من ذلك أو أقل، على أني إن أخذت السلعة أو ركبت ما تكاريت منك فالذي أعطيتك من ثمن السلعة أو من كراء الدابة، وإن تركت ابتياع السلعة أو كراء الدابة فما أعطيتك لك. اهـ.

وكذا ذكره عن الإمام مالك أبو داود في سننه عقب روايته للحديث. وهذا تفسير الإمام مالك لهذا الحديث. وقد ذكر الإمام أبو عبد الله بن ماجه في سننه عقب الحديث قال: العربان أن يشتري الرجل دابة بمائة دينار، فيعطيه دينارين عربونًا، فيقول: إن لم أشتر الدابة فالديناران لك، قال: وقيل: يعني- والله أعلم- أن يشتري الرجل الشيء فيدفع إلى البائع درهمًا أو أقل أو أكثر، ويقول: إن أخذته، وإلا فالدرهم لك.

وهكذا نرى أن العُرْبانَ هو العَرْبون، ونرى كذلك أن صورته ما يقع بين الناس في تبايعهم، من أن يشتري الشخص شيئًا فيدفع إلى البائع جزءًا من الثمن مقدمًا، فإن أتم البيع دفع بقية الثمن، وإن رد البيع فَقَدَ العربون، فيكون حينئذٍ الخيار للمشتري دون البائع.

وحُكْمُه:

الجمهور على أنه بيع ممنوع غير صحيح ؛ وذلك لأن النبي ﷺ نهى عنه، ولأنه من باب المخاطرة وفيه نوع من الغرر، وأكل المال بغير عوض، قالوا: ولأن فيه شرطين فاسدين: أحدهما شرط الهبة، والثاني شرط الرد على تقدير ألا يرضى، ولأنه شَرَطَ للبائع شيئًا بغير عوض فلم يصح، كما لو شرطه لغير البائع.

وقالوا أيضًا: لأنه بمنزلة الخيار المجهول ؛ فإنه اشترط أن يكون له أن يرد المبيع من غير ذكر مدة فلم يصح.

وعند الإمام أحمد أنه لا بأس به، ودليله ما أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه من حديث زيد بن أسلم «سُئل رسول الله ﷺ عن العربان في البيع فأحله». وما روي فيه عن نافع بن عبد الحارث: أنه اشترى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم، فإن رضي الله عمر، كان البيع نافذًا، وإن لم يرض فلصفوان أربعمائة درهم، وضَعَّف الإمام أحمد الحديث المروي في بيع العربان.

قال أبو عمر بن عبد البر: وأما قول مالك في تفسير ذلك فعليه جماعة فقهاء الأمصار من الحجازيين والعراقيين، منهم الشافعي والثوري وأبو حنيفة والأوزاعي والليث بن سعد وعبد العزيز بن أبي سلمة ؛ لأنه من بيع الغرر والمخاطرة، وأكل المال بغير عوض ولا هبة وذلك باطل. قال: وبيع العربان على ذلك منسوخ عندهم إذا وقع قبل القبض وبعده، وترد السلعة إن كانت قائمة، فإن فاتت (أي اسْتُهْلِكَتْ) رد قيمتها يوم قبضها، ويُرَدُّ على كل حال ما أخذ عُرْبانًا في الشراء والكراء.

قال أبو عمر بن عبد البر: وقد رُوِيَ عن قوم من التابعين منهم ؛ مجاهد وابن سيرين ونافع بن عبد الحارث وزيد بن أسلم أنهم أجازوا بيع العربان على ما وصفنا. قال: وذلك غير جائز عندنا، وكان زيد بن أسلم يقول: أجازه رسول الله ﷺ.

قال أبو عمر: وهذا لا نعرفه عن النبي ﷺ من وجه يصح. قال: ويحتمل أن يكون بيع العربان الذي أجازه رسول الله ﷺ لو صح عنه أن يجعل العربان عن البائع من ثمن سلعته إن تم البيع وإلا رده، وهذا وجه جائز عند الجميع. ثم قال: قال مالك في الرجل يبتاع ثوباً من رجل فيعطيه عربانًا على أن يشتريه، فإن رضيه أخذه، وإن سخطه رده وأخذ عربانه،إنه لا بأس به. قال أبو عمر: لا أعلم في هذا خلافًا، قال: وفي اتفاقهم على هذا دليل على أن المعنى في النهي عن بيع العربان ما قاله مالك والجماعة التي ذكرناهم من العلماء معه على ما تقدم ذكره.

قال أبو عمر: إن وقع بيع العربان الفاسدُ فُسِخَ، وردّت السلعة إلى البائع والثمن للمشتري.

١٥- مطل الغني

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ وإذا أُتْبِعَ أحَدُكُمْ على مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحوالات من صحيحه باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة برقم (٢٢٨٧)، وفي باب إذا أحال على علي فليس له رد، برقم (٢٢٨٨)، وفي كتاب الاستقراض وأداء الديون باب (مطل الغني ظلم) برقم (٢٤٠٠)، كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة، واستحباب قبولها إذا أحيل على مليٍّ برقم (١٥٦٤). والإمام أحمد في المسند برقم (٢/٤٦٣)، والإمام مالك في الموطا برقم (٦٧٤)، وأبو داود في البيوع برقم (٣٣٤٥)، والترمذي في البيوع باب في مطل الغني أنه ظلم برقم (١٣٠٨)، والنسائي في البيوع باب الحوالة برقم (٤٦٩٥)، وابن ماجه في الصدقات باب الحوالة برقم (٢٤٠٣).

شرح الحديث

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله: «مَطْلُ الغني ظلم». وفي رواية ابن عيينة عن أبي الزناد عند النسائي وابن ماجه: «المطل ظلم الغني»، والمعنى أنه من الظلم، وأطلق ذلك للمبالغة في التنفير عن المطل، وقد رواه الجوزقي من طريق همام عن أبي هريرة

بلفظ: «إنَّ منَ الظُّلْمِ مَطْلَ الْغَنِيِّ»، وهو يفسر الذي قبله.

قال: وأصل المَطْلِ المَدُّ، قال ابن فارس: مطلت الحديدة أمطلها مطلاً، إذا مددتها لتطول، وقال الأزهري: المطل المدافعة، والمراد هنا تأخير ما استُحق أداؤه بغير عذر. والمراد بالغني هنا من قدر على الأداء فأخره ولو كان فقيرًا، قال: وهل يتصف بالمطل من كان القدر المطالب به ليس حاضرًا عنده لكنه قادر على تحصيله بالتكسب مثلاً؟

أورد ابن حجر للشافعية فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون ماطلاً ويجب عليه تحصيل ما استحق عليه، والثاني عدم الوجوب، والقول الثالث التفصيل بين أن يكون أصل الدين وجب بسبب يعصى به فيجب وإلا فلا.

قال: وقوله: «مطل الغني» من إضافة المصدر للفاعل عند الجمهور، والمعنى: أنه يحرم على الغني القادر أن يماطل بالدين بعد استحقاقه، بخلاف العاجز، وقيل: هو من إضافة المصدر للمفعول، والمعنى: أنه يجب وفاء الدين ولو كان مستحقه غنيًا، ولا يكون غناه سببًا لتأخير حقه عنه، وإذا كان كذلك في حق الغني فهو في حق الفقير أَوْلَى، قال: ولا يخفى بُعْدُ هذا التأويل.

أقول: ولا مانع من شمول الحديث للمعنيين. والله أعلم.

قال الحافظ: وفي الحديث الزجر عن المطل، واختلف: أيُعَدُّ فعْلُهُ كبيرةً أم لا؟ فالجمهور على أن فاعله يفسق، لكن أيثبت فسقه بمطله مرة واحدة أم لا؟ قال النووي: مقتضى مذهبنا اشتراط التكرار، ورده السبكي في «شرح المنهاج» بأن مقتضى مذهبنا عدمه، واستدل بأن منع الحق بعد طلبه وابتغاء العذر عن أدائه كالغصب، والغصب كبيرة من الكبائر، وتسميته ظلمًا يشعر بكونه كبيرة، والكبيرة لا يشترط فيها التكرار. نعم لا يحكم عليه بذلك إلا بعد أن يظهر عدم عذره. انتهى كلام السبكي.

قال الحافظ: واختلفوا أيفسق بالتأخير مع القدرة قبل الطلب أم لا؟ فالذي يشعر به الحديث التوقف على الطالب لأن المطل يشعر بذلك. ويدخل في المطل كل من لزمه حق كالزوج لزوجته، والسيد لعبده والحاكم لرعيته، وبالعكس.

قال: واسْتُدِلَّ به على أن العاجز لا يدخل في الظلم، وهو بطريق المفهوم؛ لأن تعليق الحكم بصفة من صفات الذات يدل على نفي الحكم عن الذات عند انتفاء تلك الصفة، ومن لم يقل بالمفهوم أجاب بأن العاجز لا يسمى ماطلاً، كما استدل به أيضًا على أن الغني الذي ماله غائب عنه لا يدخل في الظلم، واستنبط منه بعض العلماء أن المعسر لا يحبس ولا يطالب حتى يوسر.

قال أبو عمر بن عبد البر: إنما يكون المطل من الغني إذا كان صاحب الدين طالبًا لدينه راغبًا في أخذه، فإذا كان الغريم (أي المدين) مليئًا غنيًا ومطله وسَوَّفَ به فهو ظالم له، والظلم محرم كثيره وقليله، وقد أتى الوعيد الشديد في الظالمين بما يجب أن يكون كل من فَقِهَهُ عن قليل الظلم وكثيره منتهيًا. وإن كان الظلم ينصرف على وجوه بعضها أعظم من بعض. قال: وأعظمها الشرك بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال حاكيًا عن الله تبارك وتعالى: «يا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا». [مسلم: ٢٥٧٧].

قال: ومن الدليل على أن مطل الغني ظلم محرم موجب للإثم ما ورد به الخبر عن النبي ﷺ استحلال عرضه، والقول فيه، ولولا مطله لم يحل منه ذلك، قال الله عز وجل: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]. وقال رسول الله ﷺ: «لَيُّ الواجد يُحِلُّ عِرْضَهُ وعُقُوبَتَهُ». [أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٣٨٩)، وأبو داود والنسائي وابن ماجه].

اللَّيُّ: المطل، والواجد: الغني.

قال أبو عمر: فمعنى قوله: «يحل عرضه» أي: يحل من القول منه ما لم يكن يحل لولا مطله وليه.

ومعنى «وعقوبته»: قالوا: السجن حتى يُؤَدِّيَ أو يُثْبِتَ عُسْرَتَهُ، فيجب حينئذ نظره.

وروى أبو عمر بسنده إلى سحنون بن سعيد قال: إذا مطل الغني بدين عليه لم تجز شهادته؛ لأن النبي ﷺ سماه ظلمًا.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا والمسلمين الحلال الطيب ويبارك لنا فيه، وأن يباعد بيننا وبين الحرام الخبيث بُعد ما بين المشرقين، وأن يهدينا لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال. وأن يُباعد بيننا وبين سيئها، وأن يرفع عن المسلمين الغلاء والوباء والمحن والفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

دفاعٌ عن المرأة

إعداد/ أيمن دياب

الحمد لله الذي شرع لنا أحسن الشرائع وأكملها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلي يوم الدين..أما بعد:

فإن الله تعالى قد كرم بني آدم بأنواع من التكريم، من أعظمها ما شرع لهم من العقائد والأحكام التي بها صلاح أحوالهم واستقامتها في معاشهم ومعادهم، ومن مجالات ذلك التكريم: ما يتعلق بالمرأة التي جاءت الشرائع بمعرفة قدرها وإنصافها وبيان حقوقها وواجباتها ومهامها، وكملت هذه الأمور وبلغت غايتها فيما بعث الله به نبيه وخليله محمداً ﷺ.

لقد اشتمل دين الإسلام على تكريم المرأة، وإيضاح ما لها من حقوق، وما يحصل به حفظها وصيانتها، وجاء لكل من الجنسين بما يناسبه من التشريع، وساوى بينهما فيما تقتضي الحكمة - التي عليها مدار التشريع - المساواة فيه، وراعى ما بينهما من فروق تقتضي الحكمة مراعاتها، غير أن هناك أناساً تعددت وجهاتهم ونزعاتهم، وتنوعت منطلقاتهم وأغراضهم، يأبون إلا الخروج عن المنهاج الشرعي، وإهمال ما يجب اعتباره من الفروق بين الجنسين، وإقحام المرأة في مسالك تؤدي بها إلي المهالك، واستدراجها إلي مراتع وخيمة تفضي إلي العواقب السيئة في الحال والمآل، ودعوتها إلي تلك المسالك والمراتع بدعوات ظاهرها الرحمة والإشفاق والحرص على مصالح المرأة وحقوقها تحت عناوين ينخدع بها من ليس ذا بصيرة نافذة وعقل حصيف، يلبس في تلك الدعوات الحق بالباطل، ويحصل فيها التضليل.

لقد أدرك الأعداء من قبل أن المرأة المسلمة العفيفة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي، فكان جل همهم التخطيط المنظم لشل حركتها والزج بها في مواطن الفتن والخنا، وادَّعَوْا أن للمرأة قضية كبرى وأنه لابد من الدفاع عنها من قبل المتحررين والمتنورين.

إن من المسلَّم به عند أهل العلم والبصيرة بقاء الحق والباطل في صراع إلي قيام الساعة ولكل منهما دعاته وأنصاره، فأهل الحق يريدون تبصير الأمة في دينها وتحذيرها من كيد الأعداء لها لتهنأ وتنعم، وأهل الباطل يريدون إضلال الأمة وصدها عن دين الله لتشقى وتندم.

إن الإسلام جاء ليكرم المرأة أماً وزوجاً وبنتاً ولا كرامة لها ولا نجاة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا إذا اعتزت بإسلامها وطبقت شريعة ربها ووقفت صامدة بوجه هذه الهجمة الشرسة والمؤامرة الخطيرة التي حاك خيوطها الأعداء لإذلالها وإنزالها من مكانتها العالية التي أوجدها لها الإسلام.

إن من أقوى الأسباب التي تجر المرأة إلي الانقياد وراء كل ناعق هو الجهل بأمور دينها والذي يتحمل وزره الأكبر وليها والمسؤول عنها الذي فرط في توجيهها وتعليمها أحكام دينها.

▫▫ شبهات حول حقوق المرأة ▫▫

الشبهة الأولى: النساء ناقصات عقل ودين:

في «الصحيحين» من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا

رَأَيْتُ مِنْ نَـاقِـصَـاتِ عَـقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِـلُبِّ الـرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» قُلْنَ:وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«أَلَيْسَ شَـهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟» قُلْنَ: «بَلَى» قَالَ:«فَذَلِك مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا» أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: «بَلَى» قَالَ:«فَذَلِك مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا» [متفق عليه].

إن الله جل وعلا الذي خلق الذكر والأنثى جعل بينهما فوارق طبيعية لا يمكن إنكارها، وبسبب ذلك الاختلاف الطبيعي جعل لكل منهما دوراً يقوم به للمجتمع الإنساني مخالفة لخدمات الآخر.

والذكورة كمال خلقي، وقوة طبيعية. والأنوثة نقص خلقي، وضعف طبيعي، وعامة العقلاء مطبقون على ذلك، ولذلك تراهم ينشئون الأنثى في أنواع الزينة من حلي وحلل. كما قال تعالى:﴿ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[الزخرف آية:١٨]. والتنشئة في الحلية إنما هي لجبر النقص الخلقي الذي هو الأنوثة. بخلاف الذكر، فإن شرف ذكورته وكمالها يغنيه عن الحلي والحلل.

قال شيخ المفسرين الإمام الطبري-رحمه الله- :عن قتادة-رحمه الله-(أوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ) يقول: جعلوا له البنات وهم إذا بشِّر أحدهم بهنَّ ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم. قال: وأما قوله:(وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) يقول: قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها [تفسير الطبري].

وقال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: قوله:﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ أي: المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عَيِيَّة، أوَ مَنْ يكون هكذا ينسب إلى جناب الله عز وجل ؟! فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن، في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه، ليجبر ما فيها من نقص، كما قال بعض شعراء العرب:

وَمَا الحَلْيِ إلا زِينَةٌ من نقيصة
يتمِّمُ من حُسْنٍ إذا الحُسْنُ قَصَّرا
وأمَّا إذَا كان الجمالُ موفَّرا
كحُسْنِك،لم يَحْتَجْ إلى أن يزَوَّرا

وأما نقص معناها، فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار، لا عبارة لها ولا همة، كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت: «ما هي بنعم الولد: نصرها بالبكاء، وبرها سرقة» [ابن كثير].

وقال الإمام البغوي-رحمه الله-:قوله:﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾ في الزينة يعني النساء، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن، قال قتادة-رحمه الله- في هذه الآية:(قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها) [الطبري].

وقال الشيخ الشنقيطي-رحمه الله-في«أضواء البيان» (ج ٧ / ص ١٩٣)(ففيه إنكار شديد وتقريع عظيم لهم بانهم مع افترائهم عليه جل وعلا الولد جعلوا له أنقص الولدين الذي لنقصه الخلقي، ينشا في الحلية من الحلي والحلل وأنواع الزينة، من صغره إلى كبره ليجبر بتلك الزينة نقصه الخلقي الطبيعي، وهو في الخصام غير مبين، لأن الأنثى غالباً لا تقدر على القيام بحجتها ولا الدفاع عن نفسها).

وقال صاحب الدر المنثور-رحمه الله- (ج ٩ / ص ٨٩) (عن ابن عباس-رضي الله عنهما-﴿او من ينشا في الحلية﴾ قال:هن النساء، فرق بين زيهن وزي الرجال، ونقصهن من الميراث، وبالشهادة، وأمرهن بالقعدة، وسماهن الخوالف).

وهكذا اتفق جمهور المفسرين-بل جلهم- على الاستدلال بهذه الآية على وصف المرأة بانها لنشاتها في الترفه والتزين والتنعم:تعرت عن حُسن النظر في مُجريات الأمور، ودقائق المعاني، وذلك أيضاً لما جُبلت عليه من نقصان في الدين والعقل، ومن ثمَّ عجزت عن تقرير رأيها وإقامة حُجتها، فما تتكلم امراة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها.

هذا بالطبع في الجملة،أما على التعيين فبلا ريب هناك نسوة فاضلات لهن مشورات نافعات ونصائح جليلات.

ولأجل أن الذكورة كمال وقوة جعل الله هذا الكائن في خلقته القوية بطبيعته قائماً على الناقص

خلقةُ الضعيف طبيعةً ليجلب له من النفع ما يعجز عن جلبه لنفسه، ويدفع عنه من الضر ما يعجز عن دفعه عن نفسه:﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[النساء آية:٣٤]. ولكون قيامه عليها يقتضي دفع الإنفاق والصداق فهو يترقب النقص دائماً وهي تترقب الزيادة دائماً أثره عليها في الميراث، لأن إيثار مترقب النقص على مترقب الزيادة ظاهر الحكمة، وذلك من آثار ذلك الاختلاف الطبيعي بين النوعين.

ولأجل ذلك الاختلاف الطبيعي قال الله تعالى:﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى × تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [النجم آية:٢٢،٢١]. فلو كانت الأنثى معادلة للذكر في الكمال الطبيعي لكانت تلك القسمة في نفسها غير ضيزى، وإن كان ادعاء الأولاد لله فيه من أشنع الكفر وأعظمه ما لا يخفى.

وقال تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ × يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل آية:٥٩،٥٨]. فلو كانت الأنثى معادلة للذكر في الكمال الطبيعي لما ظل وجه المبشر بها مسوداً وهو كظيم، ولما توارى من القوم من سوء تلك البشارة، ولما أسف ذلك الأسف العظيم على كون ذلك المولود ليس بذكر.

ومن آثار ذلك الاختلاف الطبيعي: أن الله تعالى جعل شهادة امرأتين في الأموال كشهادة رجل قال تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾
[البقرة آية:٢٨٢].

الله الذي خلقهما وأحاط علماً بما جبلهما عليه وما أودع فيهما من حكمة، ولو لم يجعل الرجل أكمل من المرأة لما نَزَّلَ امرأتين منزلة رجل واحد في تلك الشهادة، لأن تفضيل أحد المتساويين ليس من أفعال العقلاء، فضلاً عن أن يكون من فعل خالق الأرض والسماء.

وقد جاء الشرع الكريم بقبول شهادة الرجال في أشياء لا تقبل فيها شهادة النساء: كالقصاص، والحدود، ولو كانا متماثلين في الكمال الطبيعي لما فرق الحكيم الخبير بينهما.

ومن الفوارق الظاهرة بينهما أن المرأة الأولى خلقت من ضلع الرجل، فهي جزء منه. وهو أصل لها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النسا: ١]. ولذا كانت نسبة الأولاد إليه، لا إليها، وكان هو المسئول عنها في تقويم أخلاقها:﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾
[النساء آية: ٣٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[التحريم: ٦]. وهو المسئول عن سد خلاتها.

ولأجل هذا الاختلاف الطبيعي والفوارق الحسية والشرعية بين النوعين فإن من أراد منهما أن يتجاهل هذه الفوارق ويجعل نفسه كالآخر فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ، لمحاولته تغيير صنع الله، وتبديل حكمته، وإبطال الفوارق التي أودعها فيهما، وقد ثبت في صحيح البخاري ح(٥٨٨٥): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ:(لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ) ولو لم يكن بينهما فرق طبيعي عظيم لما لعن ﷺ المتشبه منهما بالآخر. ومن لعنه ﷺ فهو ملعون في كتاب الله، لقوله تعالى:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾،كما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه [متفق عليه].

الله جل وعلا جعل الأنثى بطبيعة حالها قابلة لخدمة المجتمع الإنساني خدمة عظيمة لائقة بالشرف والدين. ولا تقلُّ أهميتها عن خدمة الرجل. فهي تحمل وتعاني آلام الحمل مدة وتنفس وترضع، وتصلح جميع شئون البيت فإذا جاء الرجل من عمله وجد أولاده الصغار محضونين، وجميع ما يلزم مهيأً له [موسوعة الفتاوي ١٠/٢٧٨٠].

فنقص العقل الذي أشار إليه الحديث هو وصف لواقع تتزين به المرأة السوية وتفخر به، لأنه يعنى غلبة عاطفتها على عقلانيتها المجردة.. ولذلك، كانت كلمات صاحب الخُلق العظيم الذي آتاه ربه جوامع الكلم للنساء عندما بيَّن أنهن يغلبن بسلاح العاطفة وسلطان الاستضعاف أهل الحزم والألباب من عقلاء الرجال، ويخترقن بالعواطف الرقيقة أمنع الحصون!

«مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» فهو مدح للعاطفة الرقيقة التي تذهب بحزم ذوى العقول والألباب.

وإذا كان هذا هو المعنى المناسب واللائق بالقائل وبالمخاطب وبالمناسبة وايضاً المحبب لكل النساء والرجال معاً الذي قصدت إليه الفاظ «نقص العقل» فى الحديث..

فإن المراد «بنقص الدين» هو الآخر وصف الواقع غير المذموم، بل إنه الواقع المحمود والممدوح!..فعندما سالت النسوة رسول الله ﷺ عن المقصود من نقصهن فى الدين، تحدث عن اختصاصهن «برخص» فى العبادات تزيد على «الرخص» التي يشاركن فيها الرجال.. فالنساء يشاركن الرجال فى كل «الرخص» التي رخّص فيها الشارع..من إفطار الصائم فى المرض والسفر.. إلى قصر الصلاة وجمعها فى السفر.. إلى إباحة المحرمات عند الضرورات.. إلخ.. ثم يزدن عن الرجال فى «رخص» خاصة بالإناث، مثل سقوط فريضة الصلاة وترك الصيام عن الحيّض والنفساء.. وإفطار المرضع، عند الحاجة، فى شهر رمضان.. إلخ.. وإذا كان الله سبحانه وتعالى يحب أن تُؤتَى رخصه كما يحب أن تُؤتَى عزائمه، فإن التزام النساء بهذه «الرخص» الشرعية هو الواجب المطلوب والمحمود، وفيه لهن الأجر والثواب..وإذا كان العقل فى الإسلام هو مناط التكليف، فإن المساواة بين النساء والرجال فى التكليف والحساب والجزاء شاهدة على أن التفسيرات المغلوطة لهذا الحديث، هي تفسيرات ناقصة..ولو كان لهذه التفسيرات المغلوطة نصيب من الصحة لنقصت تكاليف الإسلام للنساء عن تكليفاته للرجال،ولكانت تكاليفهن فى الصلاة والصيام والحج والعمرة والزكاة وغيرها على النصف من تكاليف الرجال!.ولكنها «الرخصة»، التي يُؤجر عليها الملتزمون بها والملتزمات، كما يُؤجرون جميعاً عندما ينهضون بعزائم التكاليف.. إن النقص المذموم فى أي أمر من الأمور هو الذي يمكن إزالته وجبره وتغييره، وإذا تغير وانجبر كان محموداً.. ولو كانت «الرخص» التي شرعت للنساء بسقوط الصلاة والصيام للحائض والنفساء مثلاً نقصًا مذمومًا، لكان صيامهن وصلاتهن وهن حيّض ونفساء امرًا مقبولاً ومحموداً وماجوراً.. لكن الحال ليس كذلك، بل إنه على العكس من ذلك.

لقد قرر الإسلام الفطرة التي خلقت عليها المراة.. فطرة الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم.. فهي ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل، مسئولة عن نفسها، وعن عبادتها، وعن بيتها، وعن جماعتها.. وهى لا تقل فى مطلق المسئولية عن مسئولية الرجل، وإن منزلتها فى المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة او مخالفة، وطاعة الرجل لا تنفعها وهى طالحة منحرفة، ومعصيته لا تضرها، وهى صالحة مستقيمة قال تعالى:(وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً) [النساء اية: ١٢٤]، وقال تعالى:(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ)

[آل عمران اية:١٩٥].

ويقف المتامل عند قوله تعالى:«بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ»، ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل، وكيف حدّ من طغيان الرجل فجعله بعضاً من المرأة. [شبهات المشككين ١/١٢٨].

قال العلامة الألباني -رحمه الله- في «الإرواء» (١/١٠)(إن النقص المذكور ليس على إطلاقه كما يتعمد الدجالون أن يوهموا الناس إسقاطا منهم للسنة من قلوبهم- زعموا-، وإنما هو أن المرأة لا تصلي ولا تصوم وهي حائض، وأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل، كما جاء تفسيره في الحديث نفسه في «صحيح البخاري» وغيره. وهذا هو الشأن على الغالب).

وللحديث بقية بإذن الله.

درر البحار
(٥٢)

مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

إعداد
علي حشيش

١٤٦٧- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الحَصَاةِ، وَعَنْ بَيْعِ الغَرَرِ(١).
م(١٥١٣)، حم(٩٦٣٤، و١٠٤٤٤)، د(٣٣٧٦)، ن(٤٥٣٥)، جه(٢١٩٤).

١٤٦٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُتَلَقَّى الْجلَبُ.
م(١٥١٩)، حم(١٠٣٢٨)، د(٣٤٣٧)، وت(١٢٢١)، ن(٤٥١٣)، جه(٢١٧٨).

١٤٦٩٠- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: قال النبي ﷺ : «لاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ».
م(١٥٢٠)، حم(٧٣١٦)، و(٧٧٠٤)، و(١٠٢٣٩)، و(١٠٣٧٠) و(١٠٨٠٠).

١٤٧٠- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ». م(١٥٢٢)، حم(١٤٢٩٥)، و(١٤٣٤٦)، و(١٥١٤٣)، و(١٥٢٢٢)، د(٣٤٤٢)، ت(١٢٢٣)، ن في الكبرى (٣/٦٠٨٦)، جه(٢١٧٦).

١٤٧١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اشْتَرَى طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَكْتَالَهُ».
م(١٥٢٨)، حم(٨٤٤٨).

١٤٧٢- عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا ابْتَعْتَ طَعَامًا، فَلاَ تَبِعْهُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَهُ». م(١٥٢٩)، حم(١٥٢١٨)، حب(٤٩٧٨).

١٤٧٣- عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الصُّبْرَةِ مِنَ التَّمْرِ، لاَ يُعْلَمُ مَكِيلَتُهَا، بِالْكَيْلِ الْمُسَمَّى مِنَ التَّمْرِ». م(١٥٣٠)، ن(٤٥٦١)، و(٤٥٦٢) و(٦١٣٨، ٣/٦١٣٩- الكبرى).

١٤٧٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ النَّخْلِ حَتَّى يَزْهُوَ، وَعَنْ السُّنْبُلِ حَتَّى يَبْيَضَّ وَيَأْمَنَ العَاهَةَ، نَهَى البَائِعَ وَالْمُشْتَرِيَ. م(١٥٣٥)، حم(٤٤٩٣)، د(٣٣٦٨)، ت(١٢٢٧)، ن(٤٥٦٥)، (٤/٦١٤٣- الكبرى).

١٤٧٥- عن جابر رضي الله عنه قال: «نَهَى (أَوْ نَهَانَا) رسولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يَطِيبَ».
م(١٥٣٦)، حم(١٤٣٥٦)، (١٤٣٦٤)، (١٤٨٤٧)، (١٤٩٢٦)، (١٤٨٦٤)، (١٤٩٩٨)، (١٥٠٠١)، (١٥١٨٤)، ن(٤/٦١٦٦- الكبرى).

١٤٧٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لاَ تَبْتَاعُوا الثِّمَارَ حَتَّى يَبْدُوَ صَلاَحُهَا».
م(١٥٤٨).

١٤٧٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تَبْتَاعُوا الثَّمَرَ حَتَّى يَبْدُوَ صَلاَحُهُ وَلاَ تَبْتَاعُوا التَّمَرَ بِالتَّمْرِ». م(١٥٣٨)، ن(٤٥٣٣)، (٤/٦١١٢- الكبرى)، وجه(٢٢١٥).

١٤٧٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ عَنْ المُحَاقَلَةِ وَالمُزَابَنَةِ».
م(١٥٤٥)، ت(١٢٢٤)، ون(٣/٤٦٦١- الكبرى).

١٤٧٩- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَرْزَؤُهُ(٢) أَحَدٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ». م(١٥٥٢)، حم(١٥٢٠٣)، (٢٧٤٣٠)، هق(٦/١٣٧).

١٤٨٠- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «لَوْ بِعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرًا فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ(٣)، فَلاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، بِمَ تَأْخُذُ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ؟».
م(١٥٥٤)، د(٣٤٧٠، ن(٤٥٤٠)، (٤٥٤١)، (٤/٦١١٩/٦١١٨- الكبرى)، جه (٢٢١٩)، هق (٥/٣٠٦).

١٤٨١- عن جابرٍ رضي اللهُ عنه أنّ النبي ﷺ أمَرَ بِوَضْعِ الْجَوائِحِ.
م(١٥٥٤)، حم(١٤٣٢٤)، د(٣٣٧٤)، ن(٤٥٤٢)، (٤/٦١٢٠- الكبرى).

١٤٨٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أُصِيبَ رَجُلٌ في عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في ثِمَارٍ ابْتَاعَهَا فَكَثُرَ دَيْنُهُ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ». فتصدَّق النَّاسُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ، فَقَالَ رسولُ الله

ﷺ لِغُرَمَائه: «خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلاَّ ذَلِكَ».

م(١٥٥٦)، حم(١١٣١٧)، د(٣٤٦٩)، ت(٦٥٥)، ن(٤٥٤٣)، (٤٦٩٢)، (٦١٢١، ٤/٦٢٧٤- الكبرى)، جه(٢٣٥٦)، حب (٥٠٣٣).

١٤٨٣- عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ، قَالَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عنهُ». م(١٥٦١)، حم(١٧٠٨٢)، ت(١٣٠٧)، حب(٥٠٧٧)، هق (٥/٣٥٦).

١٤٨٤- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نَهَى رسولُ ﷺ عَنْ بَيْعِ فَضْلِ المَاءِ».

م(١٥٦٥)، حم (١٤٦٤٥)، (١٤٦٥٠)، ن(٤٦٨٤)، (٤/٦٢٦٦- الكبرى)، جه (٢٤٧٧)، جب (٤٩٥٣، ٥١٥٥).

١٤٨٥- عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «شَرُّ الكَسْبِ مَهْرُ البَغِيِّ، وَثَمَنُ الكَلْبِ، وكَسْبُ الحَجَّامِ». م(١٥٦٨)، حم(١٥٨٢٧)، (١٧٢٧١)، د(٣٤٢١)، ت(١٢٧٥)، ن(٤٣٠٥)، (٣/٤٨٠٥- الكبرى)، حب (٥١٥٣).

١٤٨٦- عن أبي الزبير رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ جابرًا عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ والسِّنَّوْرِ ؟ قال: زَجَرَ النبيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ. م(١٥٦٩)، حب(٤٩٤٠)، هق (٦/١٠)، حم(١٤٧٧٣)، د(٣٤٧٩)، ت(١٢٧٩)، ن(٤٦٨٢)، (٣/٤٨٠٦- الكبرى)، جه (٢١٦١).

١٤٨٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الكلاَبِ إِلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ كَلْبَ غَنَمٍ أَوْ مَاشِيَةٍ، فَقِيلَ لابنِ عُمَر: إِنَّ أَبَا هُرَيرةَ يقولُ: أَوْ كَلْبَ زَرْعٍ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّ لأبي هُرَيرةَ زَرْعًا».
م(١٥٧١)، ت(١٤٨٨)، ن(٤٢٩٠)، (٣/٤٧٩٠- الكبرى)، هق(٦/٩).

١٤٨٨- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ(٤) بالأَسْوَدِ البَهِيمِ(٢) ذِي النُّقْطَتَيْنِ، فإِنَّهُ شَيْطَانٌ». م(١٥٧٢)، حم (١٤٥٨١)، د(٢٨٤٦)، حب(٥٦٥١)، هق(٦/١٠).

١٤٨٩- عن ابنِ المغفَّلِ رضي اللهُ عنه قال: أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بِقَتْلِ الكلاَبِ ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُهُمْ وَبَالُ الكلاَبِ؟» ثُمَّ رَخَّصَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ. م(١٥٧٣)، جه(٣٢٠٠)، (٣٢٠١).

١٤٩٠- عن عثمانَ بنِ عفانَ رضي اللهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَبِيعُوا الدِّينَارَ بالدِّينَارَيْنِ، ولاَ الدِّرْهَمَ بِالدِّرْهَمَيْنِ».

م(١٥٨٥)، ط(١٣٢٦)، حم (٨٩٤٥، ٩٦٤٥، ١٠٢٩٧)، ن(٤٥٧٣، ٤٥٨١، ٤٥٨٣، ٦١٥١، ٦١٦٠، ٣/٦١٦١- الكبرى)، حب (٥٠١٢)، جه (٢٢٥٥).

١٤٩١- عن فُضَالةَ بنِ عبيدٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنًا بِوَزْنٍ».

م(١٥٩١)، حم (٢٣٩٩٤، ٢٤٠١٧، ٢٤٠٢٣)، د(٣٣٥١، ٣٣٥٢، ٣٣٥٣)، ت(١٢٥٥)، ن(٤٥٨٧، ٤٥٨٨، ٦١٦٥، ٣/٦١٦٦- الكبرى).

١٤٩٣- عن مَعْمَرِ بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطَّعَامُ بِالطَّعَامِ مِثْلاً بِمِثْلٍ». م(١٥٩٢)، حم (٢٧٣١٩)، (٢٧٣٢٠)، حب(٥٠١١)، طب (١٠٩٥)، هق (٥/٢٨٣).

١٤٩٤- عن عبد الله رضي الله عنه قال: «لَعَنَ رسول الله ﷺ آكِلَ الرِّبَا ومُؤْكِلَهُ».

م(١٥٩٧)، حم(٣٧٣٧، ٤٠٩٠، ٤٣٢٧)، حق (,٥/٢٨٥

١٤٩٥- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: «لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا ومُوكِلَهُ وكَاتِبَهُ وشَاهِدَيْهِ، فقال: هُمْ سَوَاءٌ». م(١٠٩٨)، حم (١٤٢٦٧)، تحفة (٢٩٩١).

١٤٩٦- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: جَاءَ عَبْدٌ فَبَايَعَ النَّبيَّ ﷺ عَلَى الهِجْرَةِ، ولَمْ يَشْعُرْ أَنَّهُ عَبْدٌ، فَجَاءَ سَيِّدُهُ يُرِيدُهُ، فقال له النبي ﷺ: «بِعْنِيهِ»، فَاشْتَرَاهُ بِعَبْدَيْنِ أَسْوَدَيْنِ، ثُمَّ لَمْ يُبَايِعْ أَحداً بَعْدَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ: «أَعَبْدٌ هُوَ؟».

م(١٦٠٢)، حم (١٤٧٧٨)، د(٣٣٥٨)، ت(١٢٣٩)،.(٤١٩٥)، (٤٦٣٥)، (٦٢١٥، ٥/٨٧١٦/٤/٧٨٠٧- الكبرى)، حب (٤٥٥٠)، هق (٥/٢٨٦/٢٨٧).

هامش

١- الغرر: المعدوم والمجهول.
٢- يرزؤه: ينقصه ويأخذ منه.
٣- الجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال.
٤- عليكم: أي اقتلوه.
٥- الأسود البهيم: أي الكلب الأسود.

مختارات من علوم القرآن

فضائل ولطائف

سورة آل عمران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلا يزال حديثنا متصلاً حول لطائف سورة آل عمران، وحديثنا في هذه الحلقة يدور حول قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

إعداد/ مصطفى البصراتي

قال صاحب «فتح البيان»: فيه النهي للمؤمنين عن موالاة الكفار، بسبب من أسباب المصادقة والمعاشرة كقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما، وعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية ومثله قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

فقوله: «لا يتخذ»: لا: ناهية، والفعل بعدها مجزوم، وكسر لالتقاء الساكنين، وكلمة «اتخذ» تدل على اصطناع الشيء، والركون إليه والالتجاء إليه، مثل قوله: اتخذت هذا صاحبي، أي: جعلته واصطنعته واخترته، فالمعنى: لا يختار المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

«الكافرين»: مفعول، «اتخذ» الأول، و«أولياء»: مفعوله الثاني. وقوله: «أولياء» أي: لا ينصرونهم، ولا ينتصرون بهم، فلا يتولون الكفار، ولا يجعلون الولاية للكفار عليهم، فالنهي عن الأمرين، فإذا كان الأمر في سعة والمؤمنون في قوة، فإنهم لا يجوز لهم أن يتخذوا من الكفار من ينصرهم، لأن الكفار مهما كانوا أعداء المسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]. فليس لنا أن نستعين بالكفار، إلا إذا دعت الحاجة، فلنا أن ننتصر بهم بأخذ السلاح، وما أشبه ذلك، بل وبالعهد معهم أيضًا، فإن النبي ﷺ استعار من صفوان بن أمية دروعًا، فقال له: أغصبًا يا محمد ؟ قال: «بل عارية مضمونة». رواه أحمد وأبو داود.

فدل هذا على جواز الاستعانة بالمشرك بأخذ سلاحه.

كذلك حالف النبي ﷺ خزاعة في صلح الحديبية. رواه أحمد وابن ماجه بسند حسن.

والناس في ذلك الوقت ليسوا على قوة، فيجوز أيضًا أن يحالف المسلمون الكفار إذا دعت الحاجة إلى ذلك، لأنه قد يكون هذا من مصلحة المسلمين، فإن المسلمين إذا كانوا ضعفاء تسلط عليهم كفار آخرون، فإذا حالفوا كفارًا أقوياء انتصروا بهم، فصار في ذلك مصلحة.

ومع ذلك لا يجوز أن نجعل هذا الانتصار بهم على حساب ديننا، يعني: أن نداهنهم ونمكنهم من أفعالهم القبيحة في بلادنا، بلاد الإسلام، لأن المداهنة في دين الله تفسد على المسلمين دينهم.

وأصل النهي عن ولاية الكفار، هو من أجل ألا يَذِلَّ المسلمون بين أيديهم، فإذا كان في مثل هذه الأمور مصلحة للمسلمين وقوة، صار ذلك جائزًا، هذا

بالنسبة للانتصار بهم.

أما بالنسبة للانتصار لهم، فهذا لا يجوز أبدًا، لا يجوز أن ننصر كافرًا على مؤمن بأي حال من الأحوال، ولكن هل يجوز أن ننصر كافرًا على كافر إذا اقتضت المصلحة ذلك ؟

إن المؤمنين فرحوا حين غلبت الروم الفرس وهم كفار على كفار، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

فإذا كان هناك عدو مشترك لنا ولهذه الطائفة من الكفار، فحينئذ يكون عونه للحاجة جائزًا، لأننا نعينه لا لذاته، ولكن لمصلحة المسلمين، وهذا كله يعود إلى المصلحة، أما لو طلب منا الكافر العون على مسلم فإننا لا نعينه مهما كان الأمر، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: من سوى المؤمنين، يعادون المؤمنين، ويوالون الكفار.

ثم قال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، المشار إليه: الاتخاذ، وعادت الإشارة... على المفهوم من الفعل، لأن الفعل يدل على حدث وفاعله، فعاد الضمير هذا على الاتخاذ المفهوم من (يتخذ)، مثل قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، فعاد الضمير إلى العدل المفهوم من كلمة «اعدلوا».

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾:

أي: يتخذهم أولياء من دون المؤمنين: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: يعني أي من ولايته، وقيل من دينه، وقيل: التقدير ليس كائنًا من الله (في شيء من الأشياء، هو منسلخ عنه بكل حال، والله بريء منه، لأن الله تعالى لا يرضى أن يتولى أحدٌ من المؤمنين أحدًا من الكافرين، لأن الكافر عدو لله، بل هو عدو للمؤمنين أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] مهما كان، فإن الكافر لا يمكن أن يضمر لك المحبة أو الولاية أبدًا، ولا يمكن أبدًا أن يناصرك إلا لمصلحته هو، لأنه عدو، والعدو لا يحب أن يريد منفعة عدوه.

ثم قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾:

قال ابن كثير: أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، روى البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أنه قال: إنا لنبش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم، وروى الثوري: عن ابن عباس: ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان، ويؤيد هذا ما قاله الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، وروى البخاري قال الحسن: التقية إلى يوم القيامة.

قال ابن عثيمين رحمه الله: و«إلاَّ»: هنا حرف استثناء، والصواب أنه منقطع، بل يتعين، لأنه في حال التقاة لا نتخذهم أولياء، ولكن نوافقهم في الظاهر، ونخالفهم في الباطن. والمعنى: أن هؤلاء الكفار لهم سيطرة وقوة وقدرة نخشاهم، فنتقي منهم، أي: نتخذ وقاية من بطشهم وتنكيلهم بنا، لكن في الظاهر دون الباطن، ولا يجوز إلا في حال الخوف على النفس لضعف المسلمين وقوة الكفار.

ولا بد أن تكون هذه الموالاة في الظاهر باللسان فقط، أما في الباطن فيجب أن نضمر لهم العداوة والبغضاء، وعدم الولاية.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ في هذا التفات من الغيبة إلى الحضور، ولولا الالتفات لقال: «إلا أن يتقوا منهم تقاة».

قال صاحب «فتح البيان» في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾: على صيغة الخطاب بطريق الالتفات أي إلا أن يخافوا منهم أمرًا يجب اتقاؤه وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال، وتقاة مصدر واقع موقع المفعول به، وهو ظاهر قول الزمخشري وزنه فُعلة ويجمع على تُقى كرطبة ورطب، وأصله وقيَه لأنه من الوقاية، والتقوى والتقى واحد، والتقاة التقية، يقال: اتقى تقية وتقاة.

وفي القاموس: تقيت الشيء أتقيه من باب ضرب، وفي ذلك دليل على جواز الموالاة لهم مع الخوف منهم ولكنها تكون ظاهرًا لا باطنًا، وخالف في ذلك قوم من السلف فقالوا: لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التقية باللسان من حُمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس، وقلبه مطمئن بالإيمان فإن ذلك لا يضره، إنما التقية باللسان، وعنه قال: التقاة التكلم باللسان، والقلب مطمئن بالإيمان ولا يبسط يده فيقتل ولا يبسطها إلى إثم، فإنه لا عذر له.

وعن أبي العالية قال: التقية باللسان وليس بالعمل، وقال قتادة: إلا أن تكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك. وقال ابن حجر في الفتح في معنى الآية: لا يتخذ المؤمن الكافر وليًا في الباطن ولا في الظاهر إلا للتقية في الظاهر فيجوز أن يواليه إذا خافه ويعاديه باطنًا.

من فتاوى الرافضي على الهواء

الحمد لله تعالى حمدًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، أنعم علينا بخير الأديان ؛ دين الطهر والنقاء، والصلاة والسلام على من تركنا على المحجة البيضاء ؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد: ففي عدد جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ من مجلة التوحيد كتبت مقالاً عنوانه: «نكاح أم سفاح»، وأثبت أنه سفاح ؛ بل دعارة ولواط! ورجعت إلى كتب الرافضة أنفسهم وليس إلى ما كُتب عنهم، وهذا هو منهجي في كل ما كتبته عن الشيعة والرافضة.

إعداد: د/ علي السالوس

وبعد نشر المقال ظهر لنا موقع على الإنترنت لأحد الرافضة المسمى بآية الله العظمى العاملي في برنامج فتاوى على الهواء، يحضره عدد لا بأس به من الشباب والشابات، ولننظر إلى بعض الأسئلة التي وجهها جمهور الحاضرين لمن لقب نفسه بلقب: «آية الله العظمى»، وجوابه عنها.

السؤال الأول ؛ وجوابه:

طالبة تذهب مع زميلها في غرفته في سكن الطلاب ليعاشرها معاشرة الزوجة، هذه عند الرافضة حسنة عظيمة وليست فاحشة، وتنتهي مدة الإجارة، ويستمر الاثنان في المواقعة بعد عقد الإجارة، فيرى الرافضي أن هذه جنحة بسيطة يغفرها قبولها للمتعة.

السؤال الثاني:

يتحدث السائل عن علاقة غرامية، تنتهي بالاتفاق على المعاشرة الجنسية، بما يسمى نكاح المتعة، وعندما هم بها ليجامعها رفضت حتى لا تفقد بكارتها؟

قال له العالم الرافضي: استمتع بالسبيل الثاني، أي يجامعها في الدبر.

السؤال الثالث:

المراقب يقرأ رسالة خطية: أنا شابة مقيمة هنا، وحدثت نفسي عدة مرات بزواج المتعة، لكني أستحي من طرح الموضوع مع أي شاب، فماذا أفعل ؟

الجواب (آية الله العاملي): يقولون: لا حياء في الدين، أنا أحل لك مشكلتك، إني شخصيًا أحتاج الليلة إلى أخت مؤمنة تمتعني بنفسها، صار لي أيام في السفر والترحال بعيدًا عن أم العيال، وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام أنه من تمتع مرة كان في درجة الحسين، ومن تمتع مرتين كان في درجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات كان في درجة أمير المؤمنين، ومن تمتع أربع مرات كان في درجة النبي صلى الله عليه وآله، أكو أحسن من هذا ؟ فهذه فرصتك لكي تكوني في درجة الحسين رضوان الله عليه، ماكو مانع بعد المحاضرة تقابليني لعقد نكاح المتعة، بعدين أنا معاكم إن شاء الله لمدة أسبوع، فأي أخت مؤمنة تحب أن تجبر بخاطري وتنال الثواب العظيم تتصل بي في الفندق (هويلداي إن) مأجورة إن شاء الله، وأذكر لكم هنا حديثًا أورده الكليني في الكافي في باب النوادر الذي يلي باب الميراث، في حث الأخوات أن يعرضن المتعة على الرجال إرغامًا لأنف زفر الذي حرمها برأيه، قال: عن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن الحكم عن بشير بن حمزة عن رجل من قريش قال: بعثت إلى ابنة عم لي كان لها مال كثير [قالت]: قد عرفت كثرة من يخطبني من الرجال فلم أزوجهم نفسي وما بعثت إليك رغبة في الرجال غير أنه بلغني أنه أحلها الله عز وجل في كتابه

وبينها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سنته فحرمها زفر فأحببت أن أطيع الله عز وجل فوق عرشه وأطيع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأعصي زفر فتَزَوَّجْنِي متعةً. فقلتُ لها: حتى أدخل على أبي جعفر (عليه السلام) فأستشيره، قال: فدخلت عليه فخبرته فقال: افعل صلى الله عليكما من زوج. أفتعجز الأخوات العفيفات أن يكن مثل هذه المؤمنة ؟ كلا.. بل لهن جزيل الأجر والثواب، انظرن ماذا قال المعصوم عليه السلام في حقها: صلى الله عليكما من زوج. (تصفيق من الجمهور حاد).

التعقيب

هذه الإجابة توضح موقف رجال الدين من زواج المتعة؛ وستأتي أسئلة أخرى تؤكد هذا الموقف، وفي دراسة سابقة لباحثة شيعية أثبتت أن أكثر الناس ممارسة للمتعة هم رجال الدين، وإذا كانت هذه الشابة تستحي من عرض المتعة على أي شاب فإن رجل الدين هذا يحل لها المشكلة، بأن تكون المتعة معه هو، ويفتري على الأئمة الأطهار ليس في إباحة هذا الزنى فقط، بل الحث عليه، وبيان ثواب من تكثر من معاشرة الرجال حتى تكون في درجة الحسين، ثم الحسن، ثم الإمام علي، ثم درجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فدرجة خير البشر صلى الله عليه وآله وسلم لا تحتاج إلى مزيد من العبادة، وإنما يكفي أن يعاشرها الشباب أربع مرات، فمن أرادت هذا الثواب العظيم فعليها أن تذهب إلى العاملي هذا ليجامعها في غرفته في الفندق حيث سيبقى لمدة أسبوع ثم يرحل.

والأمر لا يحتاج إلى شهود أو إعلان كما سيأتي، وليس هناك ما يثبت النسب، وتبعًا للدراسة التي اجرتها الباحثة الشيعية فإن المتمتع لا يعترف بنسب إذا تم الحمل، ومعلوم أنه لا نفقة ولا توارث، فهذا عقد إجارة كما سيأتي.

والأخبار المنسوبة للأئمة هنا مكذوبة يبرأ منها الأئمة الأطهار، ومرادهم من كلمة زفر، وأنه هو الذي حرمها برأية خلافًا للقرآن الكريم والسنة المشرفة، مرادهم بزفر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وهذا افتراء على عمر، فالذي حرمها إلى يوم القيامة هو الرسول ﷺ كما هو ثابت عن علي رضي الله تعالى عنه في الصحيحين وغيرهما، وفي كتب الشيعة أنفسهم بسند لم يطعنوا فيه، فهو صحيح عندهم، فحملوا الخبر على التقية! (انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٤٤١، وراجع المتعة في كتابي الموسوعة: مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع ٤/١٠٥٣ وما بعدها، واقرأ بحثين في خاتمة الفصل: أحدهما لعالم سني، والآخر لعالم شيعي).

قُلْتُ: هل الإمام علي يكذب على رسول الله ﷺ فينسب إليه خلاف ما قاله تقية ؟! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾.

السؤال الرابع:

اسمي: منى عبد الرضا، وسؤالي هو عن أجرة الاستمتاع، يعني هل يمكنني أن أحدد أجرة كل جزئية من جسدي يريد أن يستمتع بها الرجل ؟

الجواب (آية الله العظمى): لا شك أختي الكريمة، فهذا حقك، ونكاح المتعة إيجاب وقبول، فكما أن الرجل يؤجر منزله أو يؤجر سيارته أو حماره، أنت أيضًا لك الحق أن تؤجري جسدك، كله أو بعضه، فيستمتع الرجل منك بالجزء الذي استاجره.

التعقيب

أين تأجير المنزل والسيارة والحمار من النكاح الذي شرعه الله عز وجل ؟ ورأينا من قبل الاستمتاع بالدبر ؛ أي من الممكن أن يكون العقد على الدبر، ولا يكتفي بهذا المنكر، بل تحديد أجرة كل جزئية من الجسد، ولا أدري كيف يكون عقد نكاح المتعة على الاستمتاع بجزء من جسد المرأة؟ أيعد هذا نكاحًا أم عبث الر بجسم المرأة؟

السؤال الخامس:

اسمي: سكينة غلوم باقر محيي، وسؤالي هو عن طبيعة زواج المتعة، هل يكون كونفدنشال، أعني هل يجب أن يعرف الأهل والأقارب أني متعت نفسي من شخص أحبه؟

الجواب (آية الله العاملي): لا يجب، وإن كنت أحبذ إعلانه حتى تشيع هذه الفضيلة ولا يتحرج منها بين العارفين المؤمنين، فما العيب فيه ؟ العيب أن يكون لك بوي فرند من غير زواج، والإسلام أحل

لك البوي فريند بطريقة الزواج المؤقت، لكن إن أبقيت الزواج سراً، فلا بأس ؛ لأن الشباب في هذا الزمن وهذه البلاد لا يمكن أن يقاوم الغريزة الجنسية، كما أنه لا يمكنه كطالب جامعي في كثير من الأوقات أن يتحمل مسئولية الزواج الدائم، فأين يذهب بطاقته الجنسية ؟ فنكاح المتعة كان الحل الأمثل لتصريف هذه الطاقة وهذا الشبق الجنسي عند الشباب والشابات.

التعقيب

الحل الأمثل هو في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٣].

وفي قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتفق عليه: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

ولنتدبر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

والمتعة ليست لزوجة ولا لملك يمين، فلو جازت لأرشدنا إليها ربنا عز وجل، ورسولنا صلى الله عليه وآله وسلم، بل بين لنا تحريمها المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا معصوم من البشر غيره.

أما أن تكون المتعة في السر، بغير شهود ولا ولي، فهذا هو الزنى الفاحشة دون أدنى فرق، بل هو أسوأ من الزنى في الواقع العملي، فبعد أن كانت الفنادق في إيران تمنع الزنى في غرفها، أصبحت الآن تفتح أبوابها للعاشقين الزناة باسم المتعة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

السؤال السادس:

المراقب يقرأ رسالة خطية: سماحة آية الله العاملي، انا متزوجة زواج دائم، وزوجي رجل دين، وكثيراً ما يبيت الليل خارج المنزل، فأسال اين كان، فيرد بانه قضى الليلة عند اخت شيعية تزوجها متعة، وانا اخاف أن اصاب بالمرض الخبيث الإيدز لكثرة معاشرته لنساء كثيرات، فماذا افعل؟

زواج المتعة

التعقيب

هذا السؤال يؤكد ما ذكرناه من قبل أن رجال الدين عند الرافضة من أكثر الناس ممارسة للمتعة مع نساء كثيرات، وبذلك استحلوا أموال غيرهم باسم الخمس، وفروج نسائهم باسم المتعة !! بل استحلوا الأدبار كذلك!

السؤال السابع (سنقف وقفة طويلة في التعليق على هذا السؤال):

اسمي موسى علي الكاظمي، وأقول لك صراحة: إني أجد ميلاً نحو الرجال أكثر من النساء، فهل يجوز أن أعقد نكاح المتعة على رجل مثلي ؟

الجواب (آية الله العاملي): هذا خارج عن موضوع محاضرتنا، لكن إذا كان هذا السؤال الوحيد في بابه فأجيبك عنه، أما أن تعقد نكاح المتعة على رجل، فهذا لم يقم عليه دليل من روايات الأئمة المعصومين، وإنما حصر هذا النوع من الزواج بين الجنسين، وأما إفراغ شهوتك مع رجل آخر، فقد ورد في المحاسن للمحدث الجليل الثقة أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، في الجزء الأول منه الباب (٥١) عن محمد بن علي، عن غير واحد من أصحابه يرفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: قيل له: أيكون المؤمن مبتلى ؟ قال: نعم، ولكن يعلو ولا يعلى، فإذا كنت الذي يعلو فهذا الحديث يفتيك، والذي عليه مشايخنا في العراق ولبنان والهند وباكستان اللعب مع الصبيان، أما الرجال فلا، وقد ورد عن أمير المؤمنين حديث أشكل على الشراح رواه الكليني من كتاب النكاح باب اللواط عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) اللواط ما دون الدبر والدبر هو الكفر. قال العلامة الشيخ علي اكبر الغفاري في تعليقه على هذه الرواية: «وربما يحمل على الاستحلال»، فلعل في هذا سعة لك. (تصفيق حاد من الشباب).

التعليق

كيف يصدر هذا السؤال من أي أحد ينتسب إلى دين سماوي، فضلاً عن أن يكون الإسلام!! دين الطهر والنقاء؟!

وكيف ينسب للإمام أبي جعفر الباقر- النقي التقي الورع- أنه أجاز اللواط لمن يعلو ولا يعلى؟!

وكيف يلقب العاملي هذا بآية الله أو آية الله العظمى وهو يجيز للسائل إتيان الرجال شهوة من دون النساء ؟

وعلام يدل هذا التصفيق الحاد من شباب الرافضة؟

وهل كان الشيخ العلامة محب الدين الخطيب- يرحمه الله- محقًا عندما اعتبر أن هؤلاء الرافضة لهم دين آخر غير دين الإسلام؟

ولنتبين مدى الجريمة الشنعاء التي يرتكبها هؤلاء الرافضة نقف وقفة مناسبة تبين موقف الإسلام العظيم من اللواط.

جاء في المغني لابن قدامة ما يأتي:

«قال الخرقي: ومن تلوط، قُتل، بكرًا كان أو ثيبًا، في إحدى الروايتين، والأخرى حُكمه حُكم الزاني».

ثم قال ابن قدامة: «أجمع أهل العلم على تحريم اللوط، وقد ذمه الله تعالى في كتابه وعاب من فعله، وذمه رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

وقال النبي ﷺ: «لعن الله من عَمِل عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط». واختلفت الرواية عن أحمد، رحمه الله، في حده ؛ فروي عنه أن حده الرجم، بكرًا كان أو ثيبًا، وهذا قول علي، وابن عباس، وجابر بن زيد، وعبيد الله بن يعمر، والزهري، وأبي حبيب، وربيعة، ومالك وإسحاق، وأحد قولي الشافعي، والرواية الثانية، أن حده حد الزاني، وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء والحسن، والنخعي، وقتادة، والأوزاعي، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وأبو ثور، وهو المشهور من قولي الشافعي ؛ لأن النبي ﷺ قال: «إذا أتى الرجلُ الرجلَ، فهُما زانيان». ولأنه إيلاج فرج آدمي في فرج آدمي، لا مِلْكَ له فيه، ولا شُبْهَةَ ملك، فكان زنى كالإيلاج في فرج المرأة، وإذا ثبت كونه زنى، دخل في عموم الآية والأخبار فيه، ولأنه فاحشة، فكان زنى، كالفاحشة بين الرجل والمرأة. ورُوي عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه أمر بتحريق اللوطيِّ. وهو قولُ ابن الزبير ؛ لما روى صفوانُ بنُ سُليم، عن خالد بن الوليد، أنه وجدَ في بعض ضواحي العرب رَجُلاً يُنكحُ كما تُنكحُ المرأة، فكتب إلى أبي بكر، فاستشار أبو بكر، رضي الله عنه، الصحابة فيه، فكان عليٌّ أشدهم قولاً فيه، فقال: ما فعل هذا إلا أمة من الأمم واحدة، وقد علمتم ما فعل الله بها، أرى أن يُحرقَ بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك، فحرقَه. وقال أبو حنيفة: لا حدَّ عليه ؛ لأنه ليس بمحل للوطء، أشبه غير الفرج. ووجه الرواية الأولى، قول النبي ﷺ: «مَن وجدتموه يعملُ عَمَلَ قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به». رواه أبو داود. وفي لفظ: «فارجموا الأعلى والأسفل». ولأنه إجماع الصحابة، رضي الله عنهم، فإنهم أجمعوا على قتله، وإنما اختلفوا في صفته. واحتج أحمد بعلي، رضي الله عنه، وأنه كان يرى رجمه، ولأن الله تعالى عذب قوم لوط بالرجم، فينبغي أن يعاقب من فعل فعلهم بمثل عقوبتهم. وقول من أسقط الحدَّ عنه يخالف النص والإجماع، وقياسُ الفرج على غيره لا يصحُّ ؛ لما بينهما من الفرق. إذا ثبت هذا، فلا فرق بين أن يكون في مملوك له أو أجنبي ؛ لأن الذكر ليس بمحل لوطء الذكر، فلا يُؤثر ملكه له، ولو وطئ زوجته أو مملوكته في دبرها، كان مُحرمًا، ولا حد فيه ؛ لأن المرأة محل لوطء في الجملة، وقد ذهب بعض العلماء إلى حله، فكان ذلك شبهة مانعة من الحد، بخلاف التلوط.

وحديث قتل اللوطي الذي أجمع عليه الصحابة الكرام البررة، وعلى الأخص الإمام علي رضي الله عنه، فإنه كان من أشدهم قولاً فيه حتى رأى أنه يحرق بالنار، واحتج بقوله الإمام أحمد، هذا الحديث الشريف رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٨/١٦: ١٨ حديث رقم ٢٣٥٠)، وحسنه الشيخ أحمد شاكر

(انظر المسند بتحقيقه ٤/٢٥٦، ٢٥٧- حديث رقم ٢٧٢٧).

واقرأ تخريجه بتوسع في الإتحاف بتخريج أحاديث الإشراف (٤/١٥٨٠: ١٥٩٤)، وانظر قول المؤلف (٤/١٥٩٤): «وختام القول أن حديث عمرو بن أبي عمرو عن ابن عباس في قتل الفاعل والمفعول به لا ينزل عن درجة الصحيح لغيره».

والحاكم- وهو شيعي غير رافضي- صححه في

المستدرك (٤/٣٥٥)، ووافقه الذهبي.

وقال ابن القيم كما في أعلام الموقعين (٤/٣٧٨): «وقال أصحابنا: إذا رأى الإمام تحريق اللوطي بالنار فله ذلك ؛ لأن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً يُنْكَح كما تُنكح المرأة، فاستشار أصحاب النبي ﷺ وفيهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وكان أشدُّهم قولاً، فقال: إن هذا الذنب لم تَعْصِ اللهَ به أمةٌ من الأمم إلا واحدة، فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن يحرقوه بالنار. فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ على أن يحرقوه بالنار، فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنهما أن يحرقوا، فحرقهم، ثم حرقهم ابن الزبير، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك».

ويبقى هنا ما ذكره عن مشايخه من جواز اللعب مع الصبيان، والمقصود باللعب هنا اللواط، فقد أفتى الخميني بجواز مفاخذة الرضيعة ؛ أي وضع الذكر بين فخذي الرضيعة، وفي بحث العالم الشيعي عن المتعة الذي نشرته في كتابي «مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع» جواز اللواط بالصغار، وفيه ذكر لوقائع من بعض رجال الدين الرافضة ؛ حيث استحلوا التلوط بالصغار. فإنا لله وإنا إليه راجعون. (انظر كتابي ٤/١٠٩٢، ١١٠٦)، وانظر: (تحرير الوسيلة للخميني ٢/٢٤١).

السؤال الثامن:

أحيانًا نرى نساء جميلات في السوق، وقد يكن متزوجات، فهل يجوز أن نعرض عليهن المتعة؟

فأجاب العاملي: «ليس عليك السؤال !». اهـ.

قلت: وهكذا يكون الزنى بالمتزوجات، في السر دون إعلان.

السؤال التاسع:

أخوكم حسين موسى الفنجري، سماحة الشيخ، أحيانًا تكون عندي الزوجة المؤقتة فأرى الرغبة عند أخي أو صديقي في استعارتها، فهل يجوز لي أن أحلها له؟

الجواب (آية الله العاملي): قد وردت روايات كثيرة عن المعصومين عليهم السلام في جواز إعارة الجارية، والجارية لغة تطلق على الأمة المملوكة أو البنت الصبية، فقد روى ثقة الإسلام الكليني- طاب ثراه- من كتاب النكاح باب الرجل يحل جاريته لأخيه والمرأة تحل جاريتها لزوجها: عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن عبد الكريم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له الرجل يحل لأخيه فرج جاريته ؟ قال: نعم، له ما أحل له منها.

وعن علي بن إبراهيم عن الخشاب عن يزيد بن إسحاق عن الحسن بن عطية عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا أحل الرجل للرجل من جاريته قُبلة لم يحل له غيرها، فإن أحل له منها دون الفرج لم يحل له غيره، وإن أحل له الفرج حل له جميعها.

وعن عليّ عن أبيه عن ابن أبي عمير قال: أخبرني قاسم بن عروة عن أبي العباس البقباق قال: سأل رجل أبا عبد الله (عليه السلام) ونحن عنده عن عارية الفرج. فقال: حرام، ثم مكث قليلاً ثم قال: لكن لا بأس بأن يحلَّ الرجل الجارية لأخيه، وحيث إن الأخ المراقب أشار إلى أن وقت الاستراحة قد حان، أتوقف هنا حتى العودة بعد الاستراحة والصلاة. ووو... برجاء الأخت التي تريد نكاح المتعة يمكن أن تلتقي بي في غرفة الاستراحة بارك الله فيها.

التعليق

ما دامت المرأة عند هؤلاء القوم كالسيارة والحمار؛ فلا غرابة بعد أن استقر أمرهم على إجارة الفروج والأدبار، بل إتيان الرجال والصغار، أن تعار الفروج والأدبار، فما دامت الإجارة بيع المنافع، فالإعارة عقد إرفاق حيث توهب المنافع، فيتبادل الرجال مواقعة الأنثى بأجر أو بدون أجر كما يحدث مع العاهرات.

والأشد نكرًا أن ينسب هذا الفجور لأعظم الأديان السماوية وخاتمها.

والعاملي- الذي يعد آية من آيات الشيطان لا من آيات الله- لم ينس قبل الاستراحة دعوة من تريد معاشرة رجل- إجارة- أن تأتي إليه ليقوم بهذه المهمة القذرة.

ولا أدري كيف يقبل أي أحد ينتسب للإسلام أن يتبع هذه الفرقة الضالة المضلة؟!

الشيعة الرافضة

تاريخ وحقائق

الحلقة الأولى

إعداد: د/ **عبدالله شاكر الجنيدي**

نائب الرئيس العام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الإسلام دعا إلى الاجتماع والائتلاف، ونهى عن التفرق والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣]، وقد جمع الله قلوب الصحابة على الحق الذي نزل على نبي الهدى ﷺ إلى أن خرجت الخوارج، وظهرت الروافض وغيرهما من الفرق المنحرفة التي فرقت كلمة المسلمين، وأوهنت صفهم، ومن هذه الفرق المنحرفة «الشيعة الرافضة» الذين تظاهروا بحب آل بيت النبي ﷺ، وحقيقة أمرهم بعيدة عن ذلك، فهم جماعة استحوذ عليهم الشيطان ولعب بعقولهم، وأدخل عليهم في العقائد والعبادات ما يخالف الدين الذي نزل من عند رب العالمين، ومن باب النصيحة كتبت هذا البحث الذي بينت فيه أصل دين هؤلاء، كما ذكرت عقيدتهم في بعض المسائل التي خالفوا فيها عقيدة القرآن والسنة، وخرجوا بها عن نهج سلف الأمة، ونهج المسلمين عامة، وقد رأيت أن الحاجة داعية في هذه الأيام لكشف عوار هؤلاء، لأن بعض المسلمين انخدع بالشعارات الكاذبة التي رفعوها، وأحْسَنَ الظن بهم، حتى زعم أنهم هم الذين سيقودون الأمة في هذا الزمان، وأنهم سيعيدون أمجاد تاريخ الإسلام، وإني أقرر هنا أنه لا يمكن لمدعي التحريف في القرآن ولاعِني صحابة سيد ولد عدنان ﷺ أن ينصروا دين النبي الأمين ﷺ أو يدافعوا عن عقيدة المسلمين، كيف وهم يخالفونها ؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونس: الآية ٨١]،

وأترك القارئ الكريم بعد ذلك ليقف بنفسه على ما لدى هؤلاء

من انحراف وضلال من خلال ما سطروه في كتبهم، وأسأل الله للجميع الهداية والتوفيق وسلوك أقوم طريق.

سبب تسميتهم بالرافضة وأصل دينهم

أحببت أن أكتب عنهم تحت هذا الاسم لأكشف زيفهم وسوء معتقدهم وأبين حقيقتهم، ولأدفع التلبيس الذي يوهمون به العامة من أنهم يشايعون أهل البيت ويحبونهم، وكأن أهل السنة ليسوا كذلك، والحق أن أهل السنة يوالون ويحبون آل البيت محبة شرعية، لا إفراط فيها ولا تفريط، بخلاف ما عليه الرافضة أتباع عبد الله بن سبأ، وليسوا من شيعة علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- كما يزعمون.

قال الأشعري: «وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر»(١)، وذلك لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك، فرفضوه، ولم يبق معه إلا مائة فارس، فقال لهم زيد: رفضتموني، قالوا: نعم، فبقي عليهم هذا الاسم(٢).

أما عن أصل دينهم فهو مأخوذ من اليهودي الماكر: عبد الله ابن سبأ من أهل صنعاء. قال عنه عبد القاهر البغدادي: «وكان ابن السوداء في الأصل يهوديًا»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام، كما فعل «بولس» النصراني الذي كان يهوديًا في إفساد دين النصارى»(٤).

وقد يقول قائل: ما علاقة الرافضة بعبد الله بن سبأ هذا ؟ أقول: إن المعتقدات التي نادى بها بعد قدومه إلى المدينة وإظهاره الإسلام هي المعتقدات التي عليها الرافضة، بل إنهم تبنوا أقواله وساروا عليها، ولا أتقول عليهم في شيء من ذلك، فهذه كتبهم طافحة بذكره، ذاكرة معتقداته الفاسدة التي أدخلها على أهل الإسلام وتلقفتها الرافضة، فالحسن بن موسى النوبختي الشيعي الإمامي يقول: «فرقة قالت: إن عليًا لم يقتل، ولم يمت، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا...، وهذه الفرقة تسمى السبئية: أصحاب عبد الله بن سبأ، كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وقال: إن عليًا- عليه السلام- أمره بذلك، فأخذه علي، فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك(٥) ؟ فسيره علي إلى المدائن.

وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي- عليه السلام- أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا- عليه السلام-، وكان يقول وهو على يهوديته في (يوشع بن نون) بعد موسى- عليه السلام- بهذه المقالة: «يوشع بن نون كان وصي موسى»، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ- في علي- عليه السلام- بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي- عليه السلام- فأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، فمن هنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت، لو جئتنا بدماغه في سبعين صُرَّة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت، ولم يُقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض»(٦).

وما قاله النوبختي قاله الكشي أيضًا، حيث ذكر عن بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم، ووالى عليًا، وكان أول من شَهَر القول بفرض

إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية(٧).

وقد ذكر أهل السنة هذا عن عبد اللّه بن سبأ، ولكني بدأت بذكر أقوال الرافضة لأثبت لروافض اليوم ما علمه وقاله السابقون منهم عن أصل دينهم، وحتى لا يقولوا بأن أهل السنة يرمونهم بما ليس فيهم، وهذا ذكر شيء يسير مما جاء في كتب أهل السنة عن ابن سبأ ويهوديته:

قال ابن عساكر: «عبد اللّه بن سبأ تنسب إليه الطائفة السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من أهل اليمن، كان يهوديًا من أمة سوداء، فاظهر الإسلام»(٨).

وقال الحافظ ابن حجر: «عبد اللّه بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل...».

ثم ذكر عن سويد بن غفلة أنه دخل على عليٍّ رضي الله عنه في إمارته فقال: «إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد اللّه بن سبأ، وكان عبد اللّه أول من أظهر ذلك، فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود ؟ ثم قال: معاذ اللّه أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبد اللّه ابن سبأ فسيره إلى المدائن، وقال: لا يساكنني في بلدة أبدًا...»(٩).

هذه بعض أقوال الشيعة الرافضة والسنة في شخصية عبد اللّه ابن سبأ، وقد تبين من هذه الأقوال خطورة مسألة التشيع وأصل واضعيه، والهدف منه، لأذكر بعد هذا بعض معتقداتهم وضلالاتهم وبيان مخالفتها لدين الإسلام الذي بُعث به محمد بن عبد اللّه ﷺ وموافقتها لدين اليهود وغيرهم من أصحاب الملل المنحرفة الباطلة.

عقيدة الشيعة الرافضة في الإمامة

يذهب أهل السنة إلى أن الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار الأمة من أهل الحل والعقد، وينتصب الإمام بنصبهم، كما أنها تصح بعهد من الإمام الميت إذا قصد فيه حسن الاختيار للأمة عند موته، ولم يقصد بذلك هوًى، ولهذا فاهل السنة يرون وجوب نصب إمام يقيم شعائر الدين، وينصف المظلومين من الظالمين.

يقول الماوردي- رحمه اللّه-: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع»(١٠).

ويقول أبو المعالي الجويني: «اتفق المنتمون إلى الإسلام على تفرق المذاهب وتباين المطالب على ثبوت الإمامة»(١١).

هذا هو موقف المسلمين عمومًا من قضية الإمامة، وأنها واجبة، ليسوس الرعية، ويقيم العدل، ويدفع الظلم، إلى غير ذلك من متطلبات الإمامة، والتي لا يمكن تحققها إلا بوجود إمام، أما أمر الإمامة عند الشيعة الرافضة الاثنى عشرية فله شأن آخر ومعتقد جديد يخالف عقائد المسلمين، فهي عندهم أصل من أصول الدين وركن من أركانه، ولا يتم إيمان المرء إلا بهذا الاعتقاد.

يقول الشيعي الرافضي (محمد رضا المظفر): «نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا باعتقادها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين، مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة»(١٢).

وقال الرافضي ابن المطهر الحلي في مقدمة كتابه «منهاج الكرامة»: «أما بعد: فهذه رسالة شريفة، ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة، التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة، وهي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في

الجنان، والتخلص من غضب الرحمن»(١٣).

بل ذهبوا أبعد من ذلك حين زعموا أن الإمامة أجَلُّ من النبوة، وقد ذكر ذلك «هادي الطهراني» أحد مراجعهم وآياتهم في هذا العصر، حيث قال: «الإمامة أجل من النبوة، فإنها مرتبة ثالثة شرف الله تعالى بها إبراهيم بعد النبوة والخلة»(١٤).

وقد بنى الروافض الإمامية معتقدهم هذا على روايات مكذوبة نسبوها كذبًا وزورًا إلى آل البيت- رضي الله عنهم- ومن ذلك ما جاء في كتاب «الكافي» للكليني، وهو من الكتب المعتمدة عندهم، يروي الكليني بإسناده عن أبي جعفر قال: «بني الإسلام: على الصلاة والزكاة والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»(١٥).

ولعلك تلاحظ أيها القارئ الكريم أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، والشهادتان أعظم أركان الإسلام، وبهما بدأ النبي ﷺ حديثه عن أركان الإسلام، وبذلك تعرف مناقضة الشيعة الرافضة لأصل دين الإسلام، ولم يقتصروا على ذلك، بل جعلوا الولاية أفضل من أركان الإسلام الأخرى، فقد روى الكليني بسنده عن أبي جعفر أنه قال: «إن الإسلام بني على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ قال: الصلاة»(١٦).

ويفند شيخ الإسلام ابن تيمية زعم الروافض في الإمامة وأنها أعظم أركان الدين فيقول: «إن قول القائل: إن مسألة الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، كذب بإجماع المسلمين... فإن الإيمان بالله ورسوله ﷺ أهم من مسألة الإمامة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فالكافر لا يصير مؤمنًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وهذا هو الذي قاتل عليه الرسول ﷺ الكفار أولاً، كما استفاض عنه في الصحاح وغيرها أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...»، وكذلك كان النبي ﷺ يسير في الكفار، فيحقن دماءهم بالتوبة من الكفر، لا يذكر لهم الإمامة بحال، وقد قال تعالى بعدها: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: الآية ١١]، فجعلهم إخوانًا في الدين بالتوبة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولم يذكر الإمامة بحال، ومن المتواتر أن الكفار على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام ولم يذكر لهم الإمامة بحال، ولا نقل هذا عن رسول الله ﷺ أحد من أهل العلم، لا نقلاً خاصًا ولا عامًا، بل نحن نعلم بالاضطرار عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يذكر للناس إذا أرادوا الدخول في دينه الإمامة، لا مطلقًا ولا معينًا، فكيف تكون أهم المطالب في أحكام الدين؟»(١٧).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الهوامش

١- «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» (١/٨٩).

٢- المرجع السابق (١/١٣٧).

٣- «الفرق بين الفرق» (ص١٧٨).

٤- «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٨/٤٨٣).

٥- هكذا يدعي الروافض أن أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما- كانا أعداء لعلي- رضي الله عنه-، وعلي- رضي الله عنه- بريء من كذبهم هذا.

٦- «فرق الشيعة» للنوبختي (ص٢٢، ٢٣).

٧- انظر كتاب «معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين المعروف برجال الكشي» (ص١٠١).

٨- «تهذيب تاريخ دمشق» (٧/٤٣١).

٩- «لسان الميزان» (٣/٣٥٩).

١٠- «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٢٩).

١١- «غياث الأمم في التياث الظلم» (ص٤٢).

١٢- «عقائد الإمامية» (ص٤٩).

١٣- «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (١/٧٣).

١٤- «ودايع النبوة» (ص١١٤).

١٥- «الكافي» للكليني (٢/١٥).

١٦- المرجع السابق (٢/١٦).

١٧- «منهاج السنة النبوية» (١/٧٥- ٧٦)

أوجه الشبه بين اليهود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن المتأمل في عقيدة التحريف عند اليهود والرافضة يجد أن هناك تشابهًا إلى حدٍ كبير بين المعتقدين، سواء من حيث الهدف والغاية، أو من حيث الأسلوب والطريقة.

١- الهدف والغاية:

أراد العبرانيون من اليهود حصر الملك في آل داود عليه السلام، فوضعوا لذلك النصوص المحرفة المؤيدة لما يعتقدون، فنسبوا إلى رب العالمين ظلمًا وافتراءً على الله أنه وعدهم أن يديم الملك في آل داود عليه السلام، وعلى النقيض من العبرانيين ذهب السامريون إلى اللعن والقدح في داود عليه السلام، واتهامه هو وأبناؤه بالزنى، ومن ثَمَّ أنكروا نبوته ونبوة أنبياء بني إسرائيل إلا موسى، ويوشع، عليهما السلام، ولأجل ذلك المعتقد راحوا يختلقون النصوص ويحرفونها.

أما الرافضة فإن تحريفهم للقرآن كان دافعه حصر الإمامة- التي هي ركن من أركان الإسلام عندهم، بل أصل من أصول الدين- في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأولاده، ولأجل ذلك المعتقد الفاسد راحوا يطعنون في صحابة النبي- ﷺ- لأنهم أسقطوا بزعمهم من القرآن الآيات الدالة على إمامة علي وأولاده.

جاء في «الكافي» عن زرارة عن أبي جعفر قال: «بني الإسلام على خمس: الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال: الولاية». اهـ. «أصول الكافي» (١/١٨).

فالإمامة عند الرافضة- كما ترى- أفضل من الصلاة والزكاة، وإذا سأل سائل: فلماذا لم تذكر الإمامة في القرآن كما ذكرت الصلاة والزكاة ؟ كانت الإجابة عند الرافضة: إن الإمامة ذكرت مئات المرات، لكن الصحابة أسقطوها ليغتصبوا من علي بن أبي طالب حقه، ويتولوا الخلافة بعد رسول الله ﷺ، ولهذا المعنى أشار صاحب «أصول الكافي» حيث أورد عن أبي الحسن- عليه السلام- أنه قال: «ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ﷺ ووصيه». «أصول الكافي» (١/٤٣٧).

مما سبق يتضح لنا أن الغاية عند اليهود للتحريف هو المُلك وحصره في آل داود عليه السلام، فوضعوا لذلك النصوص وحرفوا الصحيح منها ليستقيم مع هذه الغاية، وبذات المنهج فعل الرافضة مع أبناء الحسين رضي الله عنه، فالإمامة لا ينبغي أن تخرج منهم إلى غيرهم، مِن أجل ذلك حرفوا وبدلوا وأولوا في آيات رب العالمين لإثبات ذلك المعتقد الباطل.

وعلى الضد من الفريق الأول كان الطعن في نسب داود ورميه بكثير من التهم بهدف حرمانه من المُلك، كان موقف الهارونية اليهودية التي ترى أن المُلك لا يخرج عن الهارونيين، وقام بتلك المهمة عزرا الذي كان خادمًا لملك الفرس، فنال الحظوة ووضع لهم في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود عليه السلام ؛ أحدهما: قصة بنات لوط عليه السلام، والأخرى قصة ثامارا». (راجع إفحام اليهود ص١٥١، ١٥٢).

وعلى نفس درب عزرا سار بعض الرافضة، فقدحوا في صحابة النبي الأبرار، ورموهم بأبشع التهم، وألصقوا بهم أبشع الصفات، ومِن أجل ذلك المعتقد حرفوا وأولوا وبدلوا. هذا مِن حيث الهدف والغاية عند الفريقين، أما من حيث الأسلوب الذي تم به هذا التحريف، فالقلوب متشابهة لاتحاد الغاية، وهذه بعض أساليبهم في التحريف، كما جاءت في القرآن الكريم:

أ- تحريف الكلم عن مواضعه:

قال جل شأنه في وصف بني إسرائيل: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، وتحريف الكلم عن مواضعه يعني تفسير الكلام بغير مراد الله عز وجل، وتأويل الألفاظ على غير ما نزلت.

(راجع تفسير ابن كثير ١/٥٠٧).

ولا يخفى عليك أخي القارئ ما فعلت الرافضة

والرافضة في عقيدة التحريف

إعداد/ أسامة سليمان

حينما أسقطت الآيات التي جاءت بشأن المنافقين والمشركين على الشيخين الراشدين المهديين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، من ذلك ما ورد في «الكافي» في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ...﴾ قال: هي ولاية علي!!

وفي تفسير «القمي» قرأ أبو عبد الله: «هذه جهنم التي أنتما بها تكذبان تصليانها ولا تموتان فيها ولا تحييان». قال القمي: يعني زريقًا وحنبز (يعني أبا بكر وعمر)!!

وهذا قليلٌ من كثير مما امتلأت به كتب الرافضة في تحريف الكلم عن مواضعه كشأن إخوانهم اليهود.

ب- تحريف الكلم من بعد مواضعه:

والفرق بين هذا النوع والنوع الأول ؛ أن هذا القسم يراد به التقديم والتأخير والتغيير ليوافق الاعتقاد الفاسد عند الفريقين، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

وهذا نموذج من تحريف الرافضة في هذا النوع، جاء في فصل الخطاب: «عن أبي عبد الله قال: قال الله سبحانه: «ألم نشرح لك صدرك بعلي، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك، فإذا فرغت من نبوتك فانصب عليًّا وصيًّا، وإلى ربك فارغب في ذلك».

(راجع فصل الخطاب ص٣٤٤).

بل ورد فيه أيضًا: «إنا أعطيناك الكوثر، فصلِّ لربك وانحر، إن شانئك عمرو بن العاص هو الأبتر».

(فصل الخطاب ص٣٤٧).

تُرى كيف يتجرأون على سور كاملة في كتاب رب العالمين لأجل عفن فكري وعقائد باطلة وهوىً متبع!!

جـ- تلبيس الحق بالباطل:

وهو من أخطر أنواع التحريف عند الفريقين، إذ يكون بالتلاعب في الألفاظ وتزييف المعاني، ليختلط الحق بالباطل.

يقول جل شأنه عن اليهود: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

والرافضة لهم باعٌ في هذا القسم من التحريف تلقوه من أساتذتهم وشيوخهم- اليهود والنصارى- من ذلك ما ورد في تفسير «فرات الكوفي»: «عن أبي عبد الله- عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. قال: هم المؤمنون: سلمان، والمقداد، وعمار، وأبو ذر».

(ص٢٠٧).

فحصروا الإيمان في أولئك الصحابة دون غيرهم، أليس ذلك فيه لبس للحق بالباطل؟! لكنه الهوى والضلال.

د- لَيّ اللسان بالكلام:

ويقصد بـ «لَيّ اللسان بالكلام»: تحريفه عن مراد الله عز وجل، يقول جل شأنه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

فاليهود- عليهم من الله اللعائن- كانوا يقصدون بالكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص ؛ من ذلك قولهم: «راعنا» يريدون الرعونة، والمعنى: اسمع لنا، فنهى الله المؤمنين عن ذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا...﴾. وبذات المنهج كان فعل الرافضة، جاء في فصل الخطاب سألت أبا جعفر عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾، فقال: «يا حبيب لا تقرأها هكذا إنما هي: «ثم دنا فتوانا». (ص٣٣٦).

ألم أقل لكم: إن الرفض صناعة يهودية؟ أليس هذا التشابه الكبير من حيث الهدف والغاية والأسلوب والطريق يبين تلك الحقيقة التي لا تقبل الشك، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]؟

والله من وراء القصد.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

جزاء من ينال من رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: «وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [التوبة: ٦١].

من هدي رسول الله ﷺ

رحمته بالضعيف

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء قط صنعته لم صنعته، ولا قال لشيء تركته لم تركته وكان أحسن الناس خلقًا ﷺ. [رواه مسلم].

من دلائل النبوة

صفته ﷺ في التوراة

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: أجل والله إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غُلفًا. [رواه البخاري].

من فضائل الصحابة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود. [رواه الترمذي].

من دعائه ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء».

[رواه الترمذي]

سؤال عن السنة

عن سليم بن قيس العامري قال: سأل ابن الكوا عليا عن السنة والبدعة، وعن الجماعة والفرقة، فقال: يا ابن الكوا حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد ﷺ، والبدعة ما فارقها، والجماعة والله مجامعة أهل الحق، وإن قلوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل، وإن كثروا. [كنز العمال].

إعداد/ علاء خضر

حِـكَمٌ ومَـواعظ

عن عبد الله بن بسر قال: المتقون سادة، والعلماء قادة، ومجالستهم عبادة، بل ذلك زيادة، وأنتم بمر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، وأعدوا الزاد فكأنكم بالمعاد.

عن عمر رضي الله عنه قال: اعتزل ما يؤذيك، وعليك بالخليل الصالح! وقل ما تجده وشاور في أمرك الذين يخافون الله.

[كنز العمال].

كيف العمل بالقرآن؟

قال الفضيل: إنما نزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملاً. قيل: كيف العمل به ؟ قال: أي ليحلّوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه ويقفوا عند عجائبه.

[اقتضاء العلم للبغدادي].

وصايا لطلاب العلم

قال الخطيب البغدادي: «إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل به، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يعد عالمًا من لم يكن بعلمه عاملاً» وقيل العلم والد، والعمل مولود، والعلم مع العمل والرواية مع الدراية. [اقتضاء العلم للبغدادي].

من معاني اللغة

- الاستلام: **هو لمسك الشيء، تقول: استَلَمْتُ الحجر الأسود (أي لمسته). أما التسلُّم فهو: أخذُك الشيء، تقول: تسلَمتُ نسخةً.**

- الغَيْبة (بفتح الغين): **الغياب (بكسر الغين). تكلمت في غَيْبة فلان: أي في غيابه: أما الغِيبة: فهي ذِكْرُك أخاك بما يكره في غيابه.**

من دُرر العلماء

الأنبياء أفضل من الأولياء

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: ظنوا أن للأولياء خاتمًا قياسًا على خاتم الأنبياء، ولم يعلموا أن أفضل الأولياء من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم السالفون من الأولياء لا الآخرون، إذ فضل الأولياء على قدر اتباعهم للأنبياء واستفادتهم منهم علمًا وعملاً . وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولي يأخذ من الله بلا واسطة. والنبي يأخذ بواسطة، وهذا جهل منهم، فإن الولي عليه أن يتبع النبي ويعرض كل ما له من محادثة وإلهام على ما جاء به النبي فإن وافقه وإلا رده، إذ ليس هو بمعصوم فيما يقضي له. [جامع الرسائل].

من حكمة الشعر

قال علي بن أبي طالب عن الموت:

ولو أنا إذا مِتْنا تُرِكْنا
لكانَ الموتُ راحةَ كُلِّ حيٍّ
ولكنا إذا مِتْنا بُعِثْنا
ونُسْألُ بعد ذا عنْ كُلِّ شيٍّ

دراسات شرعية

المنهج الإسلامي

الحلقة الثالثة عشر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن الخلع، وحكمه، وتحذير الرجال من عضل النساء، وهل الخلع فسخ أم طلاق، وعن عدة المختلعة، ونكمل حديثنا حول الخلع، وعن العلاقة القائمة على المودة والرحمة بين الزوجين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

▫▫ مسائل في الخلع ▫▫

- كل ما يصح أن يكون مهرًا، يصح أن يكون عوضًا في الخلع، وعلى هذا فلا يصح أن يخالعها بِمُحَرَّم.

هل يجوز أن يخالعها على غير عوض ؟ رجح شيخ الإسلام ابن تيمية جوازه ؛ لأنه حق للزوج، فإذا أسقطه باختياره فلا حرج.

- جمهور العلماء على أنه يجوز للزوج أن يأخذ عوضًا من زوجته أكثر مما أعطاها، لعموم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّـهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ولا يستحب له أن يأخذ أكثر مما أعطاها، فإذا تراضيا على الخلع بشيء صحّ، ويروى عن ابن عباس وابن عمر أنهما قالا: لو اختلعت امرأة من زوجها بميراثها وعقاص رأسها كان ذلك جائزًا.

قال ابن بطال: ذهب الجمهور إلى أنه يجوز للرجل أن يأخذ في الخلع أكثر مما أعطاه، وقال مالك: لم أر أحدًا ممن يقتدى به يمنع ذلك، لكنه ليس من مكارم الأخلاق. [فتح الباري].

- إذا خالعت الحامل بنفقة عدتها صح الخلع، والنفقة واجبة على الزوج في هذه الحالة، فلو تنازلت عنها صح الخلع.

- الخلع لا يسقط باقي حقوق الزوجة لدى زوجها كدين أو باقي مهر فهو لها ولا علاقة له بالخلع إلاَّ إذا أسقطته عنه.

- يجوز الخلع دون السلطان (أو من ينوب عنه كالقاضي) بين الزوجين دون الرفع إليه، أجاز عمر ذلك، وإن كانوا قد اختلفوا فيه، ومن حيث النظر: كما أن الطلاق جائز دون الحاكم فكذلك الخلع.

- يجوز الخلع في الحيض والطهر الذي جامعها فيه، فهو ليس كالطلاق، لأن المنع من الطلاق في الحيض من أجل الضرر الذي يلحقها بطول العدة.

- ألفاظ الخلع تنقسم إلى صريح وكناية، فالصريح ثلاثة ألفاظ: خالعتك (لأنه ثبت له العرف)، والمفاداة (لأن هذا لفظ القرآن: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾، وفسخت نكاحك لأنه حقيقة فيه، وما عدا هذا من الألفاظ مثل: بارأتك، وأبنتك، وأبرأتك، فهو كناية.

- لا يثبت في الخلع رجعة في قول أكثر أهل العلم ؛ لقوله تعالى: ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وإنما يكون فداءً إذا خرجت به عن قبضته وسلطانه، وإذا كانت له الرجعة فهي تحت حكمه، ولأن القصد إزالة الضرر عن المرأة، فلو جاز ارتجاعها لعاد الضرر.

- قال أحمد: لو جعلت له امرأته ألف درهم على أن يخيرها فاختارت الزوج، لا يرد عليها شيئًا، ووجهه أن الألف مقابل تمليكه إياها الخيار، وقد فعل ما استحق الألف، وليس الألف في مقابل الفرقة.

- لو خالعها على غير عوض (على غير مال)، فهل يصح هذا الخلع ؟ الظاهر صحة هذا الخلع لأن الأصل في مشروعية الخلع أن توجد من المرأة رغبة عن زوجها وحاجة إلى فراقه فتسأله فراقها، فإذا أجابها حصل المقصود من الخلع فصحّ كما لو كان بعوض، وبهذا قال مالك، وفي رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، قال: قلت لأبي: رجل علقت به امرأته تقول: اخلعني، قال: قد خلعتك. قال: يتزوج بها ويجدد نكاحًا جديدًا وتكون عنده على ثنتين. (وهذا على أنه قال بأن الخلع هنا طلاق).

- هل يصح الخلع من أجنبي بغير إذن المرأة ؟ مثل أن يقول الأجنبي للزوج: طلِّق امرأتك بألف عليَّ، قال أكثر أهل العلم: إنه يصح، فهو بذل مال في مقابل إسقاط حق عن غيره (الزوجة)، فصحّ، كما لو قال: اعتق عبدك وعليَّ ثمنه.

- إذا خالع امرأته مقابل إسقاط نفقة عدتها جاز ذلك عند أحمد وأبي حنيفة، ورجحه ابن قدامة.

- يصح التوكيل في الخلع عن كل واحد من

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

الزوجين، ومن أحدهما منفردًا، وكل من صح أن يتصرف في الخلع بنفسه جاز توكيله ووكالته. [المغني لابن قدامة بتصرف].

- وجود الشقاق ليس شرطًا في الخلع، الجمهور على خلاف ذلك، وأجابوا عن آية الفداء بأنها جرت على حكم الغالب.

- قالت الرُّبيع: اختلعت من زوجي بما دون عقاص راسي (بكل ما تملك). فاجاز ذلك عليٌّ عثمان رضي الله عنه. (علقه البخاري بصيغة الجزم ووصله غير واحد، كما قال الحافظ ابن حجر في التعليق، منار السبيل).

- قال في السيل الجرار بعد ذكر أدلة الفريقين الدالة على أن الخلع طلاق أو فسخ، ما نصه:

فهذه الأحاديث تدل على أنه فسخ لا طلاق.

ثم قال: ولا تحسب عليه طلقة إلاَّ إذا جاء بلفظ الطلاق أو بما يدل عليه، لا إذا لم يقع منه لفظ البتة، بل تركها وشانها، فإن هذا لا يحسب عليه طلاقًا.

هل يجوز الخلع مع استقامة الحال؟

قال ابن عثيمين في «الشرح الممتع»: «فلو أن المرأة مستقيمة الحال مع زوجها، ولكنها لأي سبب من الأسباب طلبت منه الطلاق، فإنه يكون مكروهًا في هذه الحال، والخلع يقع، لأنه ليس بمحرم، بل مكروه، والمكروه ينفذ، هذا هو المشهور من المذهب، أن الخلع مع استقامة الحال مكروه، ولكن يقع.

وهناك قول آخر ؛ وهو أن الخلع في حال الاستقامة محرم ولا يقع، وهذا هو الصحيح ؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾.

فإن مفهوم الآية: أنه إن لم يخافا ألا يقيما حدود الله فعليهما جناح، وهذا يشهد لصحة الحديث: «من سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة».

وهذا يقتضي أن يكون من كبائر الذنوب، فالآية تؤيد الحديث، وعلى هذا فنقول: إنه إذا كان لغير سبب فإن الصحيح أنه محرم، وأنه لا يقع.

- ولا يصح شرط الرجعة في الخلع بأن يقول: أنا أخالعك، لكن لي أن أرجع في الخلع فأعطيك العوض وأراجعك، لأن هذا ضد مقصود الخلع.

إعداد/ متولي البراجيلي

الزواج علاقة قائمة على المودة والرحمة

جعل اللَّه الزواج علاقة قائمة على المودة والرحمة، يسكن كل من الزوجين للآخر، ويكون كل منهما منتهى آمال الآخر، تهفو إليه نفسه، وتسرُّ به، وقد بيَّن الله تعالى حميمية هذه العلاقة، في وصف معجز، لما قال: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾.

فلا يتصور أن تقوم هذه العلاقة السامية على الغش والتدليس، فإذا كان الله تعالى نهى عن الغش بجميع صوره في شتى مجالات الحياة، والنبي ﷺ قال: «من غشنا فليس منا». (مسلم وغيره).

ولا يتصور أن الله تعالى يحرِّم الغش في السلع والبضائع ولا يحرمه في مؤسسة الزواج العظمى، لذا كان فسخ النكاح هو السبيل لنقض العقد المبرم بين الزوجين إذا دلَّس أحدهما على الآخر أو أخلَّ بشرط أو مقصد من مقاصد الزواج.

فسخ النكاح

هو نقض العقد المبرم بين الزوجين والتفريق بينهما من غير طلاق، بسبب خلل وقع في شروط صحته أو سبب طارئ عليه يمنع بقاءه.

أنواعه:

١- الفسخ بسبب الخلل الواقع في العقد.

ومن أمثلة ذلك: أ- إذا تم العقد وتبين أن الزوجة التي عقد عليها أخته من الرضاع، فُسخ العقد.

ب- إذا عُقد بغير الأب والجد للصغير أو الصغيرة، ثم بلغ الصغير أو الصغيرة، فمن حق كل منهما أن يختار البقاء على الحياة الزوجية، أو إنهاءها، ويسمى هذا خيار البلوغ، فإذا اختار إنهاء الحياة الزوجية، كان ذلك فسخًا للعقد.

٢- الفسخ الطارئ على العقد:

ومن أمثلة ذلك:

أ- إذا ارتد أحد الزوجين عن الإسلام، ولم يعد إليه، فُسخ العقد بسبب الردة الطارئة.

ب- إذا أسلم الزوج وأبت زوجته أن تسلم، وكانت مُشركة، فإن العقد حينئذ يُفسخ، بخلاف ما إذا كانت كتابية، فإن العقد يبقى صحيحًا كما هو، إذ

إنه يصح العقد على الكتابية ابتداءً.

الفرق بين الفسخ والطلاق

يختلف الفسخ عن الطلاق في أمور منها:

١- الفسخ ينهي العلاقة الزوجية في الحال، ولا يجعل للرجل حق الرجعة إلى امرأته في العدة، بخلاف الطلاق فإن منه ما هو طلاق بائن، ولا يكون معه الرجعة، ومنه ما هو طلاق رجعي لا ينهي العلاقة الزوجية في الحال، ولكن تبقى المطلقة على ذمة مطلقها حتى تنقضي عدتها.

٢- الفسخ لا ينقص عدد الطلقات، فلو فُسخ العقد بسبب خيار البلوغ مثلاً، ثم عاد الزوجان وتزوجا ملك عليها ثلاث طلقات، أما لو طلقها ثم راجعها فإنها تحتسب عليها طلقة سواء راجعها وهي في عدتها بدون عقد جديد أو عقد عليها عقداً جديداً بعد انقضاء عدتها ولا يملك عليها بعد ذلك إلا طلقتين (لو كانت هي الطلقة الأولى).

فسخ النكاح بالعيب

إذا ثبت أن بأحد الزوجين عيبًا ينفِّر منه الطرف الآخر، ولا يحقق مقصود النكاح، فقد وردت الآثار والأحكام لتحديد الموقف في هذه الحالة.

فعن عمر رضي الله عنه أنه قال: أيما امرأة غرَّ بها رجل، أو بها برص، فلها المهر بما أصاب منها، وصداق الرجل على من غرَّه. (رواه مالك والبيهقي وعبد الرزاق ورجاله ثقات على خلاف في سماع سعيد بن المسيب من عمر، وقد صحح ذلك الإمام أحمد، وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب بعد أن ساق السند: إلى سعيد بن المسيب: قال وهو صحيح وأنه سمع عمر بن الخطاب على المنبر).

وعن علي رضي الله عنه قال: أيما امرأة نكحت وبها برص أو جنون أو جذام أو قرن، فزوجها بالخيار ما لم يمسسها، إن شاء أمسك، وإن شاء طلق، وإن مسَّها فلها المهر بما استحل من فرجها. (رواه البيهقي وإسناده صحيح).

(البرص: بياض بالجلد مستقبح، الجنون: فقدان العقل. الجذام: قروح تصيب البدن وتتكاثر حتى يموت. القرن: لحم زائد في فرج المرأة فيسدَّه).

وقد اختلف أهل العلم في العيوب التي يفسخ بها النكاح.

- فقال الظاهرية: لا يفسخ النكاح بعيب ألبتة.
- وقال الجمهور بفسخه بالعيب، ثم اختلفوا في تحديد هذه العيوب.

والراجح- والله أعلم- أن الفسخ يكون بكل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة فإنه يوجب الخيار، وهذا ما رجحه ابن القيم في «الزاد» وابن تيمية، واختاره ابن عثيمين في «الشرح الممتع».

خاصة أن هناك عيوبًا وأمراضًا تظهر ولم تكن فيمن سلف ؛ كالإيدز، والسرطان، وغير ذلك.

من العيوب التي تختص بالرجل

الجب (قطع الذكر)، والعُنَّة (وهو الذي لا يتمكن من الجِماع)، ولا يدخل في العنة ضعف الرجل في الجماع، قال ابن عثيمين رحمه الله: أما ضعف الرجل في الجماع فليس بعنة، حتى لو كان لا يجامع إلا في الشهر مرة، لأنه ثبت أنه يجامع.

الخصي (مقطوع الخصية)، السَّل (مسلول الخصيتين).

ومن العيوب التي تختص بالمرأة

الرتق (انسداد الفرج تمامًا)، القرن، والعفل، والفتق، وكل ذلك عيوب بفرج المرأة تمنع من الاستمتاع بها، وكذلك المستحاضة من بيت أبيها، قال ابن تيمية رحمه الله: هذا عيب (الاستحاضة) يثبت به فسخ النكاح في أظهر الوجهين في مذهب أحمد وغيره لوجهين:

أحدهما: أن هذا مما لا يمكن الوطء إلا بضرر يخافه وأذى يحصل له.

والثاني: أن وطء المستحاضة عند أحمد في المشهور عنه لا يجوز، إلا لضرورة...

ثم قال: ووطء المستحاضة فيه نزاع مشهور، وقيل: يجوز وطؤها كقول الشافعي وغيره.

وقيل: لا يجوز إلا للضرورة، وهو مذهب أحمد في المشهور عنه، وله الخيار ما لم يصدر عنه ما يدل على الرضا بقول أو فعل، فإن وطئها بعد ذلك فلا خيار له، إلا أن يدعي الجهل: فهل له الخيار ؟ فيه نزاع مشهور، والأظهر ثبوت الفسخ، والله أعلم/

وقال أيضًا: عن رجل تزوج امرأة على أنها بكر فكانت ثيبًا أن له فسخ النكاح، وله أن يطالب فرق الصداق- وهو تفاوت ما بين مهر البكر والثيب فينتقص بنسبته من المسمَّى، وإذا فسخ قبل الدخول سقط المهر. والله أعلم.

العيوب المشتركة بين الرجل والمرأة

ذكرنا منها قبل ذلك: الجنون والبرص والجذام والإيدز والسرطان وكل ما يقاس على هذه الأمراض بالمساواة أو بالأولى.

وقد جمع الشيخ السعدي العيوب التي يحدث بها الفسخ، فقال:

- إذا وجدت زوجها عِنِّينًا، وثبتت عنته بإقرار أو بينة.
- وإذا أعتقت المرأة الأمة تحت عبد فإنها تملك فسخ نكاحها إلا إذا رضيت به بعد العتق.
- إذا آلى من زوجته (امتنع عن وطئها أبدًا أو مدة تزيد على أربعة أشهر)، فإما أن يطلق أو يفسخ

فإن امتنع ألزمه الحاكم بذلك فإن أصرَّ فسخ الحاكم النكاح إزالة لضررها.

- من سافر سفرًا بعيدًا طويلاً وطلبت قدومه لأجل الفراش رُوسل وضرب له من الأجل ستة أشهر، فإن قدم وإلا فلها الفسخ إلا إذا كان سفره لواجب أو لما لا بد له منه فلا فسخ لها لهذا السبب.

- من امتنع عن النفقة الواجبة والكسوة الواجبة والسكنى الواجبة مع قدرته على ذلك، فإذا أصرَّ على الامتناع مع قدرته فلها الفسخ بلا ريب، فإذا أعسر بذلك فهل لها الفسخ؟ وهو المشهور من المذهب (مذهب أحمد) أو لا تملك الفسخ؟ وهو إحدى الروايتين عند أحمد وهو ظاهر القرآن، فإن الله تعالى قال: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

وأوجب الله تعالى إنظار المعسر في جميع الديون.

- إذا أسلمت وهو على كفره أو العكس.

- امرأة المفقود إذا تربصت بعد انتظاره حكم بموته واعتدت وورثته وبعد العدة يجوز لها النكاح.

- إذا امتنع مما وجب عليه من الوطء أو من المبيت مع قدرته وطلبت ذلك فلها الفسخ. (على خلاف بين العلماء في المدة الزمنية للوطء الواجب).

- إذا امتنع من المهر الحال أو إعساره به فلها الفسخ إلا إن مكنته من نفسها فليس لها الامتناع.

الشروط في النكاح

هناك فرق بين شروط النكاح: وهو ما وضعه الشارع، وبين الشروط في النكاح: فإنها من وضع العاقد، فإنه هو الذي اشترطها.

- وشروط النكاح يتوقف عليها صحة النكاح، وأما الشروط فيه فلا تتوقف عليها صحته إنما يتوقف عليها لزومه، فلمن فات شرطه فسخ النكاح.

- شروط النكاح لا يمكن إسقاطها، والشروط في النكاح يمكن إسقاطها ممن هي له. فهذه ثلاثة فروق بين شروط النكاح والشروط في النكاح.

- والشروط في النكاح ينبغي أن تكون مقارنة للعقد أو سابقة عليه، لا لاحقة به.

- والشروط في النكاح ينبغي الوفاء بها- على تفصيل سنراه-.

لحديث النبي ﷺ: «إن أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج». (متفق عليه).

أقسام الشروط في النكاح

الشروط في النكاح ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شروط صحيحة: يصح معها العقد، ومعلوم أن الشرط الصحيح لا يؤثر على العقد كأن تشترط ألا يتزوج عليها، واعلم أن أهل العلم اختلفوا في هذا الشرط فمنهم من قال بجوازه ومنهم من قال بعدم جوازه لأنه حجر على الزوج فيما أباح الله له، فهو مخالف للقرآن في قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣].

ويقال في الجواب على ذلك: هي لها غرض في عدم زواجه لم تَعْتَدِ فيه على أحد، والزوج هو الذي أسقط حقه في ذلك، فإذا كان له الحق في أن يتزوج أكثر من واحدة فأسقطه وهي لم تعتد على أحد فما المانع من صحة هذا الشرط، ولهذا فإن الصحيح في هذه المسألة ما ذهب إليه الإمام أحمد وهو أن ذلك شرط صحيح. [ابن عثيمين في الشرح الممتع].

وقال ابن تيمية بصحة هذا الشرط وهو في مذهب بعض الصحابة والتابعين وتابعيهم: كعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وشريح القاضي، والأوزاعي، وإسحاق، وهو مذهب أحمد بن حنبل.

ومذهب مالك إذا شرط أنه إذا تزوج عليها أو تسرَّى (أن يكون له ملك يمين) أن يكون أمرها بيدها ونحو ذلك: صحَّ هذا الشرط أيضًا، وملكت الفرقة، وهو في المعنى نحو مذهب أحمد في ذلك.

ثم قال: ومتى لم يوف لها بهذه الشروط فتزوج، وتسرَّى: فلها فسخ النكاح.

(فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية).

قلت: اختلف الفقهاء في صحة هذا الشرط بين مجيز ومانع، ومن جوَّزه كما ذكرت لم يقصد به منع تعدد الزوجات على الإطلاق- وهذا لا يظن بهم- وإنما كلامهم يفهم منه أن هذا الشرط يكون ضيقًا مع بعض النساء اللواتي قد يقعن في كفران العشير وسوء العشرة وفساد الأخلاق بسبب الزوجة الأخرى.

والذين قالوا بعدم صحة هذا الشرط- ولعل هذا والله أعلم هو الراجح- أرادوا أن يغلقوا الباب على النساء الذي قد يؤدي فتحه إلى اعتراض على شرع الله وتعطيل لأحكامه، خاصة وأن المرأة غيورة بطبعها ولا تحب أن يشاركها في زوجها أخرى، فكل واحدة منهن ستقول إنها متضررة ولا تستطيع العيش مع ضرَّتها، وقلما تجد امرأة ترضى بالتعدد.

واعلم أن الله تعالى حكيم في شرعه، وحكمه عدل لا ظلم فيه، وإذا كان الله قد شرع التعدد فهذا هو الخير للمرأة وللرجل وللمجتمع كله).

والحمد لله رب العالمين. وللحديث بقية إن شاء الله رب العالمين.

اتبعوا
ولا تبتدعوا

الدعوة إلى الله وسلامة المعتقد

إعداد/ **معاوية محمد هيكل**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالدعوة إلى الله عز وجل من أجل الأعمال وأفضل القربات، وهي سبيل الأنبياء والمرسلين، وهي سمة هذه الأمة المباركة المرحومة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد تضافرت النصوص تؤكد عظم شأنها وعلو مكانتها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء». [صحيح الجامع: ٦٢٣٤].

فأنعم بها من منزلة، وأكرم بها من رسالة.

ويأتي هذا المقال ضمن سلسلة مقالات في الدعوة إلى الله تعالى ؛ إسهامًا منا في هذا المجال المبارك، وتبصيرًا للمسلمين عامة وللدعاة خاصة بأهمية العقيدة والدعوة إليها، وتحذيرًا من الشرك وخطره على الفرد والأمة، خاصة وأننا نرى اليوم كثيرًا من الدعاة- للأسف- لا يلقى للعقيدة بالاً في دعوته، بل يهتم بجوانب سلوكية وأخلاقية والمسلمون من حوله غارقون في الشرك الأكبر حول الأضرحة والمزارات؛ متورطون في البدع والخرافات، مفارقون لمنهج رب الأرض والسموات.

العقيدة هي الأساس والمنطلق

الدعوة إلى عقيدة التوحيد هي مبدأ دعوة الأنبياء والرسل، فجميع الرسل جاءوا بالدعوة إلى هذه العقيدة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النمل: ٣٦]. فالدعوة إلى العقيدة هي الأساس والمنطلق في الدعوة إلى الله، فلا يدعى لشيء قبلها لأنها الأساس الذي لا يصح البناء إلا به، وهي المصحح لجميع الأعمال، فلا تقبل الأعمال ولا تصح بدونها، وقد مكث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده لا شريك له وترك ما يُعبد من دونه قبل أن يأمر بصلاة أو زكاة أو صوم أو حج، والمتتبع للقرآن المكي يجد أن معظم آياته تعالج قضية العقيدة، ففاتحة الكتاب تُعَرِّف بالله المعبود، وفيها إثبات القدر والنبوات والبعث والألوهية، وأفضل آية في القرآن؛ هي آية الكرسي، وهي متضمنة للصفات العلى لله جل وعلا، وسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن كلها تعريف بالله سبحانه، وغالب سور

القرآن كذلك.

قال ابن القيم- رحمه الله-: «وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعوة إلى عبادته وتوحيده لا شريك له، وخلع ما يُعبد من دونه، وهذا هو توحيد الألوهية، وإما أمرٌ ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم الله به في الآخرة، وهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما فعل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد». اهـ.

على الدعاة أن يحرصوا على سلامة المعتقد

فيجب على الدعاة أن يركزوا في دعوتهم على العقيدة ويحرصوا على سلامة المعتقد وتنقيته من شوائب الشرك، وأن يقبلوا على دراسة مسائل التوحيد، ثم يعلموها غيرهم، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

يعني: يا أيها النبي قل للناس: «هذه» الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته، «سبيلي» طريقتي ودعوتي، «أدعو إلى الله» تعالى وحده لا شريك له، «على بصيرة» بذلك ويقين علمٍ مني، والبصيرة هي: المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، «أنا ومن اتبعني»، ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي، قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن.

«وسبحان الله» وقل تنزيهًا لله تعالى وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه، «وما أنا من المشركين»: في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصًا له الدين، وأنا بريء من أهل الشرك، لست منهم ولا هم مني.

[انظر: تفسير الطبري، والسعدي].

وهكذا توضح الآية الكريمة وتؤكد على أهمية معرفة العقيدة والدعوة إليها، وأن أتباع الرسول ﷺ هم من ساروا على نهجه واقتدوا به في ذلك، وأن من لم يتعلم العقيدة، ويهتم بها ويدعو إليها فليس على منهج النبي ﷺ، لذلك كان النبي ﷺ عندما يرسل الدعاة ويبعثهم يوصيهم دائمًا بالبداءة بالدعوة إلى تصحيح العقيدة، «فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن، قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله- وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله- فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

[رواه البخاري ومسلم].

هذا الحديث يبين أن الدعوة إلى العقيدة هو منطلق الدعوة إلى الله تعالى، وهي المتمثلة في عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، وأن تقديم الأهم على المهم أمرٌ واجبٌ في العلم والعمل والدعوة إلى الله، وأوجب الواجبات توحيد الله تعالى، فيجب على كل مكلف- رجلاً كان أو امرأة- أن يتعلم التوحيد وما ينافيه من الشرك، كما يجب عليه بعد ذلك أن يتعلم الفرائض والحلال والحرام وبقية أحكام الدين.

التركيز على العقيدة هو العلاج الناجع

فالتركيز على العقيدة هي العلاج الناجع للشر والفساد الذي نجم عن البعد عما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام- رضوان الله عليهم أجمعين-، فقد صرفت العبادات لغير الله بزعم محبة الأولياء، وظهر من يلحد في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وافترقت الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كما افترقت اليهود من قبل، فظهرت الأشاعرة، والمعتزلة، والخوارج، والشيعة، والصوفية، وقد كان الإمام أبو حنيفة يكفر من يطعن في إمامة أبي بكر وعمر ويسب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأبطل الصلاة خلفهم، فالعقيدة دائمًا هي العاصمة من الفتن والسبيل إلى عودة الوحدة إلى صفوف الأمة.

صور من الانحراف العقدي

عندما دعا النبي ﷺ مشركي مكة لعبادة الله

وحده، وترك عبادة الأصنام، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص ٥]، فتعجبوا من ذلك لأنهم كانوا يعبدون اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، كما كانوا يعبدون الأشجار والأحجار، فإذا وجدوا حجرًا أحسن من حجر تركوا الأول وعبدوا الثاني، وكانوا إذا ركبوا في الفلك ونزلت بهم الشدائد قذفوا بأصنامهم في البحر وقالوا: يا رب، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وكذلك كان الشرك في قوم نوح- عليه السلام-، قال تعالى حاكيًا عن عنادهم وإصرارهم على الكفر بالله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤]، فعباد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأحجار والأشجار لم يستجيبوا لدعوة الرسل، بل خالفوا الرسل وعاندوهم، كما فعل كفار قريش مع النبي ﷺ، فكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات وشفاء الأمراض والنصر على الأعداء ويتقربون إليهم بكل ألوان القربات، فكانوا يذبحون وينذرون لهم، فدعاهم النبي ﷺ، وبيَّن لهم حقيقة الدين، فآمن به البعض، ثم دخل الناس في دين الله أفواجًا، وظهر دين الله على سائر الأديان، بعد جهاد متواصل الحلقات في الدعوة إلى الله عز وجل.

الجاهلية تطل برأسها من جديد

لم يستمر الأمر على ذلك طويلاً، إذ سرعان ما تغيرت الأحوال، وغلب على الناس الجهل، وخيم على العقول، وأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، حتى عاد الكثير إلى دين الجاهلية بالغلو في الأنبياء والأولياء ودعائهم والاستغاثة بهم، وغير ذلك من ألوان الشرك، ولم يزل هذا الشرك يفشو في الناس إلى هذا العصر بسبب غلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسل، وشبهة هؤلاء المتأخرين هي تمامًا شبهة الأولين، وهي قولهم عن آلهتهم: ﴿هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وقد أبطل الله عز وجل هذه الشبهة، وبيَّن أن من عبد غيره كائنًا من كان فقد كفر به وأشرك، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فرد عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

ورد على أصحاب الشبهة الثانية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣]، فعبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء ونحو ذلك كفر به سبحانه.

انحرافات عقدية في عصر التقدم والمدنية

من الدعوات الفاسدة والعقائد الخاسرة ما يعتقده الباطنية وبعض الصوفية من أن من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شئون العالم ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث... إلى غير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم وذلك شر من شرك جاهلية العرب؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية، وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة، فهم جعلوا مع الله آلهة أخرى مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

ومن شاهد ما يفعله الجهال عند قبر الحسين والسيد البدوي وابن عربي والجيلاني من دعائهم والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم علِم أن الجاهلية تطلُ علينا من جديد، وأن الشركيات التي فشت في المجتمعات اليوم في حاجة إلى دعوة مستمرة للقضاء عليها، وأن تضافر الجهود من أجل ذلك واجب على العلماء، ويخطئ من يظن أن الشرك القديم قد انتهى زمانه، فما زالت الأصنام تُعبد في أدغال أفريقيا، ولا تزال أوربا المتحضرة رمز التقدم والمدنية تسجد أمام تمثال العذراء، والشيوعيون يطوفون بقبر لينين، ولا تزال البشرية شاردة عن منهج الله عز وجل وتتحاكم إلى نظم وضعية وقوانين أرضية، فإلى الله المشتكى.

الدعوة إلى التقارب بين الأديان وخطرها على الأمة

من ذلك الدعوة إلى التقريب بين الأديان، فهي دعوة خبيثة ماكرة من شأنها أن تصرف اليهود والنصارى عن الدخول في الإسلام، ولأن كثيرًا من اليهود

والنصارى في حاجة ماسة إلى دين كامل شامل كالإسلام، وقد سئموا ما يسمى عندهم بالمسيحية واليهودية التي هي من صنع الأحبار والرهبان، وليس الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام، وهناك هدف آخر لهذه الدعوة الفاسدة، هو تخدير مشاعر المسلمين تجاه اليهود والنصارى، فلا يستشعر المسلم وجوب دعوتهم، ووجوب عداوتهم في الله لأنهم كفار، بل إن بعض المسلمين يظن أن اليهود والنصارى ناجون يوم القيامة لأنهم أتباع دين سماوي، واتخذهم البعض أصدقاء وأولياء من دون المؤمنين، مخالفين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

ولم يفرق كثيرٌ من الدعاة- للأسف- بين جواز رحمتهم بالرحمة العامة كإطعامهم من جوع ومداواتهم من مرض ومجادلتهم بالتي هي أحسن، والبيع والشراء معهم، والعدل بينهم، وبين بغضهم وعدم محبتهم، وموالاتهم، واستمسك كل فريق ببعض النصوص وهجر البعض الآخر، وأهل الحق بين الغالي والجافي، الذين يعلمون الحق وبه يعدلون، ويستمسكون بكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فالدعوة إلى التقريب بين الأديان أو صداقتهم دعوة مارقة باطلة، ومن أبصر حقيقة الدعوة يعلم أن الرسول ﷺ قد حاور اليهود في المدينة وجادلهم وخاصمهم ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، ولم يدعهم إلى التقارب بين الإسلام واليهودية أو التقريب بينهما، ولو علم في ذلك خيرًا لفعله، وكذلك الحال مع النصارى، فلما قدم عليه وفد نصارى نجران فحاجوه في النصرانية دعاهم صلوات الله وسلامه عليه إلى عقيدة الإسلام، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ثم دعاهم إلى المباهلة (أن ينزل الله تعالى لعنته على الكاذب)، فخافوا وأشفقوا على أنفسهم، فعرض عليهم إما الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختاروا الجزية.

بل الناظر والمتأمل في كتاب الله يجد القرآن الكريم قد حذر النبي ﷺ من مثل هذا التقارب فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥٥].

وقال سبحانه للنبي ﷺ ليقول لهم: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

فينبغي لكل مسلم وخاصة الدعاة منهم أن يكونوا على بصيرة من أمرهم، وأن ينتبهوا إلى خطورة هذه الدعوات المشبوهة التي يفسد أصحابها في الأرض ولا يصلحون.

إن الدين عند الله الإسلام

فما من نبي إلا ودعا إلى الإسلام، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٤].

فإبراهيم- عليه السلام- هو القدوة الذي يؤتم به، وهو مُعلم الخير، بل هو إمام الناس كلهم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقد أمر بالإسلام، وقال: أسلمت لرب العالمين، وهذه وصيته إلى بنيه ووصية إسرائيل «يعقوب» إلى بنيه، وقد اصطفى ربنا آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ثم قال: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، فأمر باتباع ملة إبراهيم ونهى عن التهود والتنصر وأمر

بالإيمان الجامع كما أنزل على النبيين، وما أوتوه، وبالإسلام له سبحانه، وأن نُصبغ بصبغة الله، وأن نكون له عابدين، ورد على من زعم أن إبراهيم وبنيه وإسرائيل كانوا هودًا أو نصارى ؛ فالإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم وهو الذي ارتضاه سبحانه للعالمين، قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]،

فالإسلام هو العقيدة الحقة الصحيحة وما سواه فعقائد فاسدة لا تغني عن أصحابها من الله شيئًا، سواء كانت من وضع البشر كهذه النظم والدساتير والمناهج الباطلة والمحرفة كالتوراة التي استبدلها اليهود بالتلمود والإنجيل الذي استبدله النصارى باثني عشر إنجيلاً يضرب بعضها بعضًا.

ومن هذا نتبين خطأ من يقول: «الأديان السماوية» ؛ لأن الدين واحد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]،

وينبغي أن نعلم أن كل من لا يدين بالإسلام من أهل الكتاب بعد سماعه برسول الله ﷺ فهو كافر ؛ لقول النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم.

وهذا أمرٌ لا بد من التذكير به خاصة ونحن نعيش عصر العولمة الذي اختلطت فيه المفاهيم وكثر فيه اللغط بالحديث الدائم عن احترام الآخر والتعايش بين الأديان والإخاء الديني ونبذ التعصب، وذلك حتى لا تذوب هوية الأمة وعقيدتها تحت ضغط هذه الشعارات البراقة والدعاوى الزائفة والعبارات المضللة.

عقيدة السلف هي العاصمة من الفتن

ولفهم الإسلام فهمًا صحيحًا فلا بد من الرجوع لسلف الأمة في فهم الكتاب والسنة، فإسلام الشيعة يختلف عن إسلام الصوفية والخوارج والمعتزلة، وكل هؤلاء يخالفون ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وقد أثنى سبحانه وتعالى على الصحابة بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]،

وقال النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» [صحيح الجامع: ٣٢٩٥].

وفي حديث العرباض بن سارية: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وقد وصف ابن مسعود رضي الله عنه صحابة النبي ﷺ بقوله: «كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا». فالدين الخالص الذي يرضى به الله هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام علمًا وعملاً واعتقادًا.

المستقبل لأهل العقيدة الصحيحة

إن المستقبل للإسلام، وذلك لغلبته وظهوره على الأديان الباطلة، فليس لنا أن نيأس من روح الله، وعلينا أن نبدأ بإصلاح النفس والسعي في دعوة الآخرين، وأن نرتفع إلى مستوى إسلامنا حتى نغير به عوج الحياة، وأن نعلم أن هذه الحالة السيئة التي تعيشها الأمة لن تستمر بإذن الله، فالأمة ستعاود النهوض من كبوتها، وستستيقظ بعد سباتها ويعود لها عزها ومجدها المفقود، فعن أبي قبيل قال: «كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسُئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: وأخرج منه كتابًا قال: فقال عبد الله: بينما نحن جلوس حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تُفتح أولاً- يعني القسطنطينية».

رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، والألباني.

ورومية هي «روما» عاصمة إيطاليا، وقد تحقق الفتح الأول، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين، وهذا يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وأن يعود المسلمون أقوياء في عقيدتهم وعُدتهم وسلاحهم.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]. والله من وراء القصد.

باب الأسرة

جنود الأرض والسماء تفدي سيد الأنبياء

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله الذي شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، وبعد:

فإن الأسرة المسلمة التي هي نواة المجتمع المسلم مطالبون جميعًا بنصرة سيد البشرية ﷺ استجابة لله تعالى وطلبًا للفلاح عنده، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥].

ومن تخل عن نصرته ﷺ فالله تعالى سيؤيد نبينه بنصره.

وقال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قوله: ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم في الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه.

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وهذه بعض المواقف التي أيد الله تعالى فيها نبيه ﷺ ضد أعدائه:

١- رده سبحانه وتعالى على أبي لهب حين قال للنبي ﷺ تبأ لك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى (يا صباحاه). فاجتمعت إليه قريش فقال: (أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونني)؟ قالوا: نعم، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًا لك، فأنزل الله عز وجل ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

[صحيح البخاري].

٢- صرفه سبحانه وتعالى عن النبي ﷺ شتم قريش وسبهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد». [صحيح البخاري].

«يصرف الله عني» أي: لعنهم وشتمهم فلا يصيبني، لأنهم يلعنون ويشتمون غيري الذي يسمى مذممًا بينما اسمي محمد ﷺ. وكان كفار قريش لشدة كراهتهم له ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون: «مذمم» وهو ليس اسمه ولا معروفًا به، فكان الذي يقع منهم مصروفا إلى غيره بالبداهة فيحصل ضد قصدهم ويرد الله تعالى كيدهم في نحرهم ليموتوا بغيظهم).

٣- تسليط الله تعالى الأرضة لتاكل صحيفة المقاطعة الظالمة ووحيه للرسول ﷺ بذلك:

قال ابن كثير: قال أبو طالب لقريش: إنما

أتيتكم لأعطيكم أمرًا لكم فيه نَصَف؛ إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني إن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم فان كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فافيقوا فوالله لا نسلمه أبدا حتى يموت من عندنا آخرنا، وإن كان الذي قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم، قالوا: قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط، إلا سحر من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ﷺ والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه... فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده؛ وهو من بني عامر بن لؤي في رجال من أشرافهم ووجوههم: نحن برءاء مما في هذه الصحيفة، فقال أبو جهل- لعنه الله-: هذا أمر قضى بليل.[البداية والنهاية ٣/٨٥].

٤- استجابة الله تعالى لدعوته ﷺ عليهم لما اشتد إيذاؤهم له:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:إن قريشا لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام قال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف) قال: فأصابتهم سنة حتى أحصت كل شيء حتى أكلوا الجيف، وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، ثم دعا فكشف الله عنهم ثم قرأ عبد الله هذه الآية: ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [الدخان: ١٥] قال: فعادوا فكفروا فأُخِّروا إلى يوم بدر. وفي رواية الترمذي:فأتاه أبو سفيان فقال: إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. [صحيح السيرة النبوية ١/٢٢٦].

٥- تنكر الأرض ولفظها جيفة النصراني الذي تطاول على النبي ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانيًا فاسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانيا فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له، فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فاصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فاصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فالقوه. [صحيح البخاري].

٦- حفظ الله تعالى له ﷺ ممن أراد قتله وهو نائم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومة ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال لي من يمنعك مني ؟ قلت الله فها هو ذا جالس». ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ. [صحيح البخاري].

٧- تاييده بجنود الأرض والسماء لمن تظاهر ضده ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصا أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله عز وجل فيهما إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فصببت عليه من الإداوة فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه؟» فقال لي: واعجبا لك يا ابن عباس، قال الزهري: وكره والله ما سأله عنه ولم يكتمه فقال: هي عائشة وحفصة، قال: ثم أنشأ يحدثني الحديث.

إلى أن قال: وكان أقسم ﷺ ألا يدخل على نسائه شهرًا، فعاتبه الله في ذلك وجعل له كفارة اليمين، فلما مضت تسع وعشرون دخل علي النبي ﷺ بدأ بي قال: «يا عائشة؛ إني ذاكر لك شيئًا فلا تعجلي حتى تستأمري أبويك». قالت: ثم قرأ هذه الآية ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ الآية. قالت: علم والله أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

(أخرجه البخاري ومسلم)

وسبب قَسَمِه ﷺ على عدم الدخول عليهن هذا الشهر ما روته عائشة رضي الله عنها من أن النبي

ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش وشرب عندها عسلاً فتواصيتْ أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير ؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال: «لا بأس شربت عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحدًا» يبتغي مرضاة أزواجه فنزلت: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) (البخاري ومسلم).

قال البخاري في كتاب الطلاق: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت فسألْتُ عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي: أكلْتَ مغافير؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل» فقولي: جرست نحلُهُ العرفط، وسأقول ذلك، وقولي له أنت يا صفية ذلك قالت: تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقًا منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال: [لا] قالت: فما هذه الريح التي أجد منك ؟ قال: [سقتني حفصة شربة عسل] قالت: جرست نحله العرفط (تقصد أن هذا النبات وهو العرفط يفرز صمغاً هو المغافير، ونحل هذا النبات حمل ريح المغافير أثناء وقوفه على الشجرة)، فلما دار إليَّ قلتُ نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال: [لا حاجة لي فيه] قالت: تقول سودة والله لقد حرمناه، قلت لها: اسكتي. [هذا لفظ البخاري وقد رواه مسلم].

قالت: وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح يعني الريح الخبيثة ولهذا قلن له أكلت مغافير لأن ريحها فيه شيء فلما قال: [بل شربت عسلاً] قلن جرست نحله العرفط أي رعت نحله شجر العرفط الذي صمغه المغافير فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته.

والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفي طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم وقد يقال إنهما واقعتان ولا بعد في ذلك إلا أن كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم.

دفاع صالحي المؤمنين من الصحابة عن رسول الله ﷺ

١- ثوبان مولى رسول الله ﷺ:

يحدث رضي الله عنه يقول: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ، فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يُصرع منها، فقال: لِمَ تدفعني ؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله ؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي».. إلى آخر الحديث. [رواه مسلم].

هكذا كانت عزة المسلمين ؛ بحيث لا يقبلون مجرد مثل هذه الكلمة «السلام عليك يا محمد» بالاسم مجردًا دون اللفظ الدال على النبوة والرسالة، وكانت هذه العزة تفضي إلى أن يدفع ثوبان- المولى- مثل هذا الرجل- الحبر العالم- دفعة كاد أن يُصرع منها، فهل يستطيع المسلمون اليوم أن يفعلوا مثلما فعل ثوبان رضي الله عنه ؟ والجواب: لا، لأنه كأس الذلة الذي شربوا منه الكثرة والقلة.

والسؤال: وإذا كان ثوبان رضي الله عنه فعل ما فعل لسماعه اسم النبي ﷺ مجردًا دون سب أو شتم، ودون استهزاء وسخرية ؛ فكيف لو سمع ما يقال اليوم عن سيد البشر جميعًا؟!

٢- أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أو الرجل الأنصاري رضي الله عنه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس، جاءه رجل يهودي، فقال: يا أبا القاسم ؛ ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: «مَنْ». قال: رجل من الأنصار، فقال ﷺ: «ادعوه». فقال: «أضَربْته؟» قال: سمعته بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر، قُلْتُ: يا خبيث ؛ على محمد ﷺ ؟ فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى». [رواه البخاري ومسلم].

وتعليق النبي ﷺ على الحادثة فيه الإنصاف البعيد عن العصبية وهكذا كان يعلمنا ﷺ.

ذكر ابن حجر في «فتح الباري» أن هذا الرجل

الذي لطم اليهودي هو أبو بكر الصديق ناسبًا ذلك إلى عمرو بن دينار أحد رواة الحديث.

وقد كانت هذه اللطمة مقابل قول اليهودي: «والذي اصطفى موسى على البشر»، دون سب أو شتم، لكنه غيَّر الحقيقة، ففضل موسى على محمد عليهما الصلاة والسلام، لكن صالحي المؤمنين لا يطيقون تغيير الحقائق في حق من هو سيد البشر أجمعين ﷺ، ولذلك أخذت المؤمن غضبة فلطم اليهودي، فهل سَمِعَ مسلمو اليوم بما يُقال عن سيد الأنبياء وما يوجه إليه من إهانات وسخرية، وهل أخذتهم غضبة لذلك؟ وما مظاهر تلك الغضبة؟ أكانت انحيازًا إليه وإلى أقواله وأفعاله وسنته؟ أكانت عودة إلى هديه ﷺ؟ أم كانت مراجعة للدين لرفع الذل ونفض الغبار؟

أم سيظل حال المسلمين تفرق وانحسار، واحتفال بالمولد بصناعة الحلوى والإكثار من المطعومات من أجل محبة خير البريات؟ إن المسلمين الآن لا يستطيعون فعل شيء يذكر إذا غضبوا لله ورسوله ﷺ، وبُعدهم عن الشريعة والدين الذي كانوا ينصرون به هو الذي أرداهم إلى هذه المهاوي السحيقة فصاروا أذلة لا يستطيعون قهر عدوهم، والذب عن عرض نبيهم ﷺ.

وقد قال النبي ﷺ محذرًا إياهم من مزيد من الخذلان والغضب الرباني فقال: «ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن يُنتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى في موطن يريد فيه نصرته».

[أخرجه أحمد والدارمي، وحسنه الألباني].

وبعد المسلمين عن شريعة ربهم وانشغالهم [illegible] كانا سببين مؤثرين في خذلان المسلمين وذلهم في مثل هذه الأيام التي يُنال فيها من عرض النبي ﷺ وهم لا يصنعون شيئًا.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة (بيع ربوي محرم) وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم». (أخرجه أبو داود، وقال الألباني: صحيح).

والمقصود من هذا الحديث ليس تحريم الزرع والدنيا، وإنما أن تكون الدنيا شاغلة عن الدين والشرع والجهاد للدرجة التي يسلط الله فيها الذل على من فعل ذلك.

وفي حديث ثوبان رضي الله عنه الذي يعطي معنى الحديث السابق ؛ قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله ؛ وما الوهن ؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

[أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

فالحديثان بيّنا خطورة الركون إلى الدنيا وحبها وكراهية الموت في سبيل الله وغيره، وأن ذلك سبب لميراث الذلة والضعف والهوان.

خاصة وأن الركون إلى الدنيا يوجب التنافس فيها، والتنافس يوجب التنازع، والتنازع يوجب الفشل والهلاك وذهاب الريح، وهذا الذي سيطر على المسلمين اليوم.

وقد قال ﷺ محذرًا من ذلك: «لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم».

(صحيح البخاري عن عمرو بن عوف).

كيف ننصر رسولنا ﷺ إذن؟

كما بيَن النبي ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «حتى ترجعوا إلى دينكم». وذلك بترك المحرمات والبيوع الربوية وعدم الركون إلى الدنيا ركونًا مهلكًا، وقتال العدو كلما حاول التهديد لأهل الإسلام، عندها نُنْصَر برعبهم ويظلون يهابوننا، وليس نصر نبي الإسلام بالشعارات والمظاهرات والانفعالات، فكل ذلك كالسراب الذي إذا جاءه الظمآن لم يجده شيئاً، كما أنه ليس هو الهدي الرباني.

وقد قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

فهل يصبر المسلمون على ما يسمعونه، وتكون الحركة الجادة في الأخذ بشريعة الله والاجتهاد في ذلك قولاً وعملاً، وترك البدع التي تؤخر نصر المسلمين؟ وأيضًا تقوى الله التي تنتج عن تعظيم حرماته وشعائره وتعظيم أمره ونهيه، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها

دروس وعبر

الحلقة الثالثة

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله الذي اختص هذه الأمة بان جعل فيها طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، متأسين في ذلك بسيد المرسلين وخاتم النبيين وصحبه البررة الميامين، صلى الله وسلم على نبيه الأمين وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فنواصل معك أخي الكريم الدروس والعبر والفوائد من قصة ذلك الرجل الذي انسلخ من دينه كما تنسلخ الحية من جلدها وأخلد إلى الأرض واتبع هواه ولم ينفعه علمه إذ لم يعمل به فكان له في إبليس اللعين قدوةٌ وإمامٌ، وهكذا كل من تعلَّم علمًا يراد به وجه الله فأراد به الدنيا فهو من المقتدين بإبليس اللعين.

أولاً: ومن الفوائد ما ذكره ابن القيم- رحمه الله- فقال: «فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه وتأمل ما تضمنته الآية من وجوه:

أحدها: أنه ضل بعد العلم واختار الكفر على الإيمان عَمدًا لا جهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبدًا، فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من جلدها.

ثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، ولم يقل: تبعه، فإن معنى أتبعه أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظًا ومعنى.

رابعها: أنه غوى بعد رشد، والغي: الضلال في العلم والقصد وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذكر.

وخامسها: أنه- سبحانه- لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه فلو لم يكن عَالمًا كان خيرًا له وأخف لعذابه.

سادسها: أن الله أخبر عن خسة همة ذلك الرجل في اختياره الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

سابعها: أن اختيار الأدنى لم يكن مسألة عابرة، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض، وميل بكليته إلى ما هناك، وأصل الإخلاد اللزوم، وعبَّر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض لأن الدنيا هي الأرض وما فيها، ويستخرج منها الزينة والمتاع.

ثامنها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه فجعل دعواه إمامًا له يقتدي به ويتبعه.

تاسعها: أنه شبه لهفته ولهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه في تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه، والحمل عليه.

قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة، وحال الري وحال العطش، فضربه الله مثلاً لهذا الكافر فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال ؛ كالكلب إن طردته يلهث وإن تركته في حاله يلهث، وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك أخس ما يكون وأشبه. اهـ.

ثانيًا: سبق أنْ ذكر ابن القيم من صفات الكلب إقباله على الجيف وتفضيلها على اللحم الطازج، وهذا سلوك كثير ممن انغمسوا في شهوات الدنيا، فهم يقبلون بل يتنافسون على الحرام، ويتركون الحلال المباح فقد يترك أحدهم زوجته التي أحلَّها الله له، ويبحث عن المتعة من طريق غير مشروع، وهذا مثال من أمثلة عديدة، وقد صوَّر الإمام الشافعي- رحمه الله- ذلك التنافس في أبيات بديعة:

قال فيها:

ومن يذُق الدنيا فإني طعمتُها
وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورًا باطلاً
كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همُّهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

ولعل الإمام الشافعي- رحمه الله- وهو ينظم هذه الأبيات كان يتمثل ما روي عن علي- رضي الله عنه- موقوفًا قوله: «الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب». وقد أخرجه ابن أبي شيبة عن علي- رضي الله عنه- مرفوعًا. والله أعلم.

ثالثًا: احذروا فتنة العالم الفاجر، وفتنة العابد الجاهل، قال سفيان بن عيينة- رحمه الله-: «احذروا فتنة العالم الفاجر، وفتنة العابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فهذا بجهله يصد عن العلم وموجبه، وذاك بغيِّه يدعو إلى الفجور».

رابعًا: إذا كان الحذر من فتنة الدنيا مطلوبًا من كل أحد فهو أولى أن يكون من العلماء لأن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، ولكنهم وَرثوا العلم، ولتكن قدوة العلماء متمثلة في نبينا ﷺ الذي آثر ما عند الله على أن تصير الجبال له ذهبًا، وعاش ومات ولم يشبع من طعام الشعير، ومات ودرعه مرهونة في طعام اشتراه لبيته ﷺ، فالعالم الرباني هو الذي يجعل الدنيا تحت قدميه ويستخدمها ولا يخدمها.

خامسًا: من أهم سمات العالم الرباني أن يتمتع بعاطفة حيَّة وقلبًا يستشعر آلام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ومن أعجب ما قرأت عن الشيخ محمد رشيد رضا كثرة تألمه لواقع المسلمين وظهور ذلك على قسمات وجهه حتى إن والدته عرفت عنه هذا الخلق فإذا رأته حزينًا كاسفًا سألته مالك يا ولدي: أمات اليوم مسلم بالصين ؟ ومن هذه العاطفة أن يتأثر قلبه لأخطاء المسلمين وانحرافهم عن الدين ويحزن حزنًا يدفعه لمحاولة الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وقبل ذلك وبعده ينبغي أن تدعوه هذه العاطفة للغيرة على نفسه وزوجه وولده فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويمنعهم من ارتكاب مساخط الله (عز وجل) فكثيرون هم الدعاة الذين يتحدثون بالإسلام وعن الإسلام، لكن الذين يملكون عاطفة حقيقية حية قليل.

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يُستجاب لها.

آمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة الثالثة والتسعون

قصة مفتراة عن يأجوج ومأجوج

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد/ على حشيش

أولاً: المتن

رُوي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج. قال: «إن كل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه كلٌ قد حمل السلاح. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف ؛ صنف منهم مثل الأرْزِ. قلت: وما الأرز ؟ قال: الصنوبر مثال شجرة الشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في السماء، وهم الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بقليل ولا كثير ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه. ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية».

ثانياً: التخريج

حديث القصة أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/٥٠٩) (ح٣٨٦٧)، وابن عدي في «الكامل» (٦/١٦٩) (٣٢/١٦٥٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢٠٦)، كلهم من طريق يحيى بن سعيد العطار، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن حذيفة بن اليمان، قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، قال: فذكر القصة.

ثالثاً: التحقيق

هذه القصة واهية، وبيان ذلك فيما يأتي:

١- غرابة القصة، حيث إن الحديث الذي جاءت به هذه القصة قال فيها الإمام الحافظ الطبراني في الأوسط (٤/٥١٠) عقب تخريجه إياه: «لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا محمد بن إسحاق، ولا عن محمد بن إسحاق إلا يحيى بن سعيد العطار».

٢- والعلة الأولى في حديث القصة: محمد بن إسحاق.

أ- قال ابن عدي في «الكامل» (٦/١٦٧) (٣٢/١٦٥٣): «محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عكاشة بن محصن الأسدي، روى عن الأوزاعي وإبراهيم بن أبي عبلة وجعفر بن برقان والأعمش أحاديث مناكير بالأسانيد التي يرويها». اهـ.

ب- وقال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/٢/١٩٥) ترجمة (١٠٩٣): «محمد بن إسحاق العكاشي، روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري والأوزاعي وعبد الرحمن بن زياد الإفريقي، روى عنه هاشم بن القاسم الحراني، قال: وسمعت أبي يقول: هو كذاب. ورأى في كتابي ما كتب إليّ هاشم بن القاسم الحراني أحاديثه فقال: هذه الأحاديث كذب وموضوعة». اهـ.

جـ- وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٨٤): محمد بن إسحاق العكاشي الغنوي: من ولد عكاشة بن محصن، سكن الشام، يروي عن الأوزاعي والزبيدي وإبراهيم بن أبي عبلة، ومكحول روى عنه أهل الشام، كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب عند أهل الصناعة». اهـ.

د- وقال أمير المؤمنين في الحديث: وطبيب الحديث وعلله الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (١/١/٤٠) ترجمة (٦٣): محمد بن إسحاق بن

إبراهيم بن محمد الأسدي الأندلسي، عن الأوزاعي وجعفر بن برقان وابن أبي عبلة، روى عنه سليمان بن سلمة، قال أبو عبد الله: هو منكر الحديث». اهـ.

فائدة: قال الحافظ في «هدي الساري» ص(٥٠٤).

وللبخاري في كلامه على الرجال تَوَقٍّ زائدٌ وتحرٍّ بليغٌ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل... اهـ.

قلت: وبيان معنى قول البخاري في الراوي: «منكر الحديث» ما قاله الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (١/٣٤٩): «البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه ؛ فيمن تركوا حديثه، ويطلق: منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه».

هـ- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٤٧٦/٧٢٠٢)، ثم نقل أقوال الأئمة في محمد بن إسحاق العكاشي: «قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: كذاب، وقال الدارقطني: يضع الحديث». اهـ.

و- لذلك قال الإمام ابن عدي في «الكامل» بعد أن أورد حديث القصة مع غيره من الأحاديث المنكرة: «هذه الأحاديث بأسانيدها مع غير هذا مما لم أذكره لمحمد بن إسحاق العكاشي كلها مناكير موضوعة». اهـ.

٣- وعلة أخرى: يحيى بن سعيد العطار الذي روى عن شيخه الكذاب محمد بن إسحاق العكاشي:

أ- أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١١/١٩٤) ناقلاً قول عثمان الدارمي عن ابن معين: ليس بشيء. وقال الجوزجاني والعقيلي: منكر الحديث. وقال ابن خزيمة: لا يحتج بحديثه». اهـ.

ب- وقال الإمام ابن حبان في كتاب «المجروحين» (٣/١٢٣): «يحيى بن سعيد العطار الحمصي الأنصاري: كنيته أبو زكريا، يروي عن محمد بن عبد الرحمن اليحصبي، روى عنه أهل الشام، كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات والمعضلات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار لأهل الصناعة». اهـ.

قُلْتُ: يتبين من هذا التحقيق أن القصة واهية وباطلة ولا يجوز روايتها إلا على سبيل الاعتبار لأهل الصناعة وللتحذير من روايتها.

رابعًا: ياجوج وماجوج في الكتاب، وصحيح السنة:

قد يتوهم من لا دراية له بالنصوص الشرعية من عرضنا لهذه القصة المفتراة عن يأجوج ومأجوج أنه لا وجود لهما ولكن ثبت من الأدلة الثابتة أن يأجوج ومأجوج أمتان من بني آدم موجودتان.

أ- قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٣- ٩٥].

ب- ومن الأدلة الصحيحة عن ياجوج في السنة المطهرة:

١- ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٣٣٤٨)، و(٤٧٤١)، و(٦٥٣٠)، و(٧٤٨٣)، ومسلم في «صحيحه» ح(٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد». قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد ؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفًا». ثم قال: «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة». فكبرنا. فقال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة». فكبرنا. فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة». فكبرنا. فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود».

٢- ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٣٣٤٦)، و(٣٥٩٨)، و(٧٠٩٥)، و(٧١٣٥)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٨٠) من حديث أم حبيبة عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه». وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها. قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلِكُ وفينا الصالحون ؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

أسئلة القراء عن الأحاديث

س١: يسال: عبد الفتاح السيد نور- من الزوامل- بلبيس- شرقية:

عن صحة حديث: «يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي...».

الجواب: لا أصل له. أورده المناوي في «فيض القدير» (٥/٤٤٦) قال: وفي بعض الكتب المنزلة، يقول الله تعالى: «يا ابن آدم...» فذكره. ولم يعزه لأي كتاب من كتب السنة، حيث لا أصل له.

س٢: ويسال السائل أيضًا عن صحة حديث: «لو سلكوا إليَّ كل طريق واستفتحوا عليَّ كل باب ما قبلتهم إلا من خلفك..».

الجواب: لا أصل له. أورده الإمام ابن القيم في «طريق الهجرتين»، قال: يقول الجنيد: كل الطرق مسدودة إلا من اقتفى آثار النبي ﷺ، فإن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي لو سلكوا إليَّ كل طريق... فذكره. ولم يعزه أيضًا إلى أي كتاب من كُتب السنة حيث لا أصل له.

س٣: ويسال أيضًا عن صحة حديث: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منهم جندًا كثيفًا فإنهم خير أجناد الأرض».

الجواب: الحديث غير صحيح. أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (١/١٥٧) ح(٣)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/١٠٠٣)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦/١٦١، ١٦٢)، وابن زولاق في «فضائل مصر» (٨٣)، ومداره على ابن لهيعة، وهو ضعيف في رواية غير العبادلة عنه، وهذا منها.

س٤: يسال: أبو شعيشع السيد علي- من الكفر الشرقي- الحامول- كفر الشيخ:

عن صحة حديث: «لا تسيدوني في الصلاة» ؟

الجواب: لا أصل له. هكذا قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٢٩٢)، ووافقه القاري في «المصنوع» (٣٩٥)، وفيه إلى جانب أنه موضوع خطأ في التركيب اللغوي: إذا الصواب لغة: «لا تسودوني» بالواو ؛ لأن فعله واوي.

س٥: ويسال السائل أيضًا عن صحة حديث: «سلموا على اليهود والنصارى، ولا تسلموا على يهود أمتي». قالوا: يا رسول الله، وما يهود أمتك ؟ قال: «تارك الصلاة»؟

الجواب: الحديث موضوع. هكذا قال الصغاني في «الموضوعات» (ح٤٧).

ووافقه العجلوني في «كشف الخفاء» (١/٥٥١)، ونقل القاري في «الموضوعات الكبرى» (ص٢١٨) عن السيوطي أنه قال: لم أقف عليه.

فائدة: الحديث الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ.

س٦: يسال: عبد الرزاق محمد محمد- من أشمون- منوفية- عن صحة حديث:

«من تعسر في الرزق فعليه بعمان» ؟

الجواب: الحديث غير صحيح. أخرجه ابن قانع في «المعجم» (١/٣٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٢١٤)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/٩٨)، وتمام في «الفوائد» (٢٨٥) بألفاظ متقاربة: «الرزق أو الضيعة أو التجارة أو المكاسب» كلهم من طريق مخلد بن عقبة بن شرحبيل عن جده مرفوعًا، وبعضهم يجعله عن أبيه عن جده. قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٦/١٠) (١٤٧٧/٨٢٦٢): «... قال الغلابي في «الوشي»: لا أعرف حال عقبة ولا مخلد». اهـ.

لذا قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٦٢) بعد أن أورد الحديث: «وفيه من لم أعرفهم». اهـ. فالحديث منكر برواية المجاهيل.

من فتاوى علماء الأزهر

المـــوالـد إسـاءة للإسـلام

أجْرَتْ جريدة الأهرام لقاءً مع فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله «وزير الأوقاف المصرية»، وفيه:

الأهرام: في البداية نريد أن نعرف رأيك، وأنت على قمة المسئولية، في الموالد التي تشارك فيها الملايين، هل هذه الصورة يقرها الإسلام؟

معالي الوزير: أقول لك: الحقيقة أن الموالد الآن شرها أكثر من نفعها، المفروض أنها تقام لإحياء ذكرى رجال الإسلام العظماء وأبطاله، والمفروض أن تكون مناسبة تأخذ منها شحنة من الإيمان الصحيح تدعم القيم الإسلامية الصحيحة لكن هذا لا يحدث، إنها مليئة بأمور لا تليق بالمسلمين، ولا تليق بجلال الذكرى، وفيها الكثير مما لا يقره الإسلام مثل صور الذِّكر بالطبول والراقصات.

الأهرام: وإذا كنت- كوزير مسئول- لا توافق عليها، فلماذا تعطي الوزارة موافقتها؟

معالي الوزير: بحكم ما جرت به العادة منذ عشرات السنين، صحيح أنَّ في الموالد خيرًا، لكن جانب الشَّر فيها هو الغالب، وما دُمنا لا نستطيع أن نُحافظ فيها على شعائر الإسلام الحقة، فإنَّني أري أنَّ إلغاءها أفضل؛ لأنَّها-بصورتها الرَّاهنة- تسيء إلى الإسلام.

الأهرام: إذا كان هذا هو الرَّأي، فكيف تشهد كوزير للأوقاف وشئون الأزهر هذه الموالد؟

معالي الوزير: لأنَّ ما لا يُدرك كله لا يُترك جله، وإلى أن نُحقِّق فكر الإلغاء لا بُدَّ أن نمضي في طريقنا لمحاولة الإصلاح، ووجود وزير الأوقاف وعلماء الإسلام الهدف منه- في الحقيقة-: توجيه هذه الموالد وجهة سليمة، لأنَّنا لا نستطيع أن نترك الساحة للمنحرفين وحدهم لينفردوا بهذه الموالد، ويفعلوا فيها ما يشاءون بعيدًا عن أعين رجال الدِّين.

الأهرام: ومتى يبدأ الإلغاء ما دام الرأي الصحيح أن هذه الموالد لا يقرها الإسلام.

معالي الوزير: يحتاج الأمر إلى جرأة، لأنَّ الذي يتقدم لإلغاء هذه الموالد سوف يُواجَه بعاصفة قوية جدًا من المعارضة؛ من المنتفعين بهذه الموالد، والمروجين للبدع، والمدافعين عنها.

الأهرام: الأمر إذن أنَّ البدعة تنتصر على الحقيقة؟

معالي الوزير: هو كذلك، فالعادات إذا استحكمت أصبحت جزءًا من عقائد النَّاس، والعادة يُمكن أن تصبح ضربًا من ضروب العبادة، وهناك جماهير واسعة تتحمس لهذه الموالد، ومواجهتها ليست بالأمر الهين، المسألة تحتاج إلى سياسة حكيمة، وهذا ما نرجو أن نصل إليه، حتى نقضي على هذه المظاهر التي تشوِّه وجه الإسلام.

الأهرام: يتردد أن المنتفعين بالموالد يكسبون منها كثيرًا، على سبيل المثال كم يبلغ إيراد صندوق النذور في السيد البدوي مثلاً؟

معالي الوزير: في أخر مرة فُتح الصندوق في المولد كان فيه ٢١ ألف جنيه.

الأهرام: إذا كانت الخرافة تنتصر على الحقيقة فكيف نسكت وكيف نرضى بذلك؟

معالي الوزير: أقول لك قصة ممَّا في كتب التراث الصحيح، تكفي لتفهُم ما أُريد أن أقول: فقد سافر عامر الشعبي-وهو من التابعين- من العراق إلى الشام، وفي طريقه دخل مسجدًا، فوجد رجلاً يقُص على النَّاس مجموعة من الخرافات، منها-مثلاً-: أنَّ لله صُورَيْن، يُنفخ فيها يوم القيامة... وبعد انتهاء الدَّرس قال له عامر الشعبي: كيف تقول هذا، ولله صور واحد؟ وفي القرآن: ﴿يَومَ يُنْفَخُ في الصور﴾ فصاح الرَّجل فيه أمام العامَّة: يا هذا، أقول لله صوران فتقول له صور واحد، أتستكثرت ذلك على الله؟!

يقول عامر الشعبي: فقام النَّاس يضربونني، فما أنجاني منهم إلاَّ أن قلتُ لهم: والله، إنَّ لله سبعين صورًا.

هكذا تنتصر الخرافة على الحقيقة، وينتصر الضلال على الهدى، ولو قامت الوزارة بمنع هذه الموالد بصورتها الشائعة لوجدت مقاومة من العامّة الذين يسمونهم الأدعياء.

ولهذا أقول: إنّني أشهد هذه الموالد، وكذلك يشترك فيها رجال الدِّين ليقولوا كلمة الحق، ويقاوموا الانحراف بقدْر الإمكان.

الأهرام: المشكلة لها جانب آخر؛ هناك أولياء جُدد يظهرون، وأضرحة جديدة تُقام، وبالتالي موالد جديدة، ألا يمكن حتى وقف ما يستجد؟

معالي الوزير: إقامة الأضرحة الجديدة ممنوعٌ قانونًا، وكذلك يمنع القانون دفن واحد - مهما يَكُن- في مسجد من المساجد.

الأهرام: يهمُّنا أن نعرف رأيكم في إقامة الأضرحة في المساجد؟

معالي الوزير: المعروف أنّ الميت إذا مات -أيًا كان- فيجب أن يُدفن ويسوى قبره بالأرض، وهذه هي سُنة رسول الله ﷺ، أمّا أن يبنى على القبر ضريح، فهذا أمر مستحدث في الإسلام، ومن الخير التزام سُنّة رسول الله ﷺ.

الأهرام: والصلاة في مقصورة الحسين والسيدة زينب والسيد البدوي؟

معالي الوزير: استقبال القبر في الصلاة -أيًا كان صاحبه- حرام؛ لأنّ المصلي يجب أن يتجه إلى الله، وأن يستقبل القبلة وحدها، ولا يستقبل الضريح، وكل مَن اعتقد أنّ ثوابه يكون أكبر لو أنّه صلى في المقصورة أو استقبل الضريح فهو مخطئ، وهذا ليس من الدِّين ولقد نهى الرّسول ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن في الحديث المعروف من اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

الأهرام: من حقنا أن نسأل، ماذا فعلت الوزارة لتحارب البدع في الدِّين؟

معالي الوزير: الوزارة تبذل جهدها، وليس لديها سلاح إلاّ الدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأعتقد أن جهودها قد أثمرت إلى حدٍّ ما، فإنّ البِدَع السائدة الآن أقل بكثير ممّا كان سائدًا في الماضي، وهذا نتيجة للتوعية الدّينية التي يقوم بها الوعاظ والأئمة، لكن الأمر يحتاج إلى أن تُساعدنا وسائل الإعلام.

الأهرام: وهل ترى أنّ وسائل الإعلام لا تُساعد في ذلك؟

معالي الوزير: أبدًا، ما زالت وسائل الإعلام مُبْعَدة، والوزارة تعمل وحدها.

الأهرام: والذين ينتسبون إليهم من أولياء الله الصالحين؟

معالي الوزير: الولي الحق لا يُعلن عن نفسه، ولا يُعلن عن كراماته.

الأهرام: والانحرافات في بعض الطرق الصوفية؟

معالي الوزير: حقيقةً لقد اندسّ على التصوف قوم ليسوا من أهله، والتصوف بريء منهم، وهؤلاء استطاعوا استهواء العامّة وخداعهم بكثير من الأباطيل، وفي اعتقادي أنّ أعداء الإسلام لما عجزوا عن إطفاء نوره لجأوا إلى وسائل خبيثة ليشوهوا جمال الإسلام، ووصلوا إلى غرضهم من طريق أمور ثلاثة:

- ادّعاء التصوف.
- ادّعاء التشيع.
- تشويه الذِّكر السُّلفي.

وهؤلاء قال عنهم الإمام محمد عبده رحمه الله: «إنّهم قوم تبطّنوا الكُفر والتحفوا بالإسلام».

الأهرام: هكذا يجرُّنا الحديث مرة أخرى إلى الطُّرق الصوفية وما وصلت إليه؟

معالي الوزير: الصوفية عندنا فريقان؛ فريق لا يزال يمشي في الطريق الصحيح على أساس كتاب الله وسُنّة رسوله، لا يشغلون أنفسهم إلا بالقرآن وحديث الرسول ﷺ، وفريق أقحم نفسه على الصوفية، فادعى لنفسه الولاية، ونسب لها كرامات، وتسلّط على مريديه بشعوذات يحسبها بُسطاء العقول كرامات، وهؤلاء ليسوا من الدِّين في شيء، وإنّما هم قوم مُخادِعون، يطلبون الدُّنيا باسم الدِّين، ويرجونها لأنفسهم.

الأهرام: إذن، ما دوْر الوزارة بالنسبة لهؤلاء؟

معالي الوزير: ليس للوزارة سلطان على الطرق الصوفية، هناك المجلس الأعلى للطرق الصوفية هو المسئول، ولقد نبهنا إلى خطورة الطريقة البرهانية، وأصدرت وزارة الداخلية قرارًا بحظر نشاطها، ومع ذلك فما زالت موجودة، ولها مريدون بالآلاف، ولا بُدّ أن ننقذ ضحايا التضليل من هؤلاء.

الأهرام: إذا كُنا بالقانون نحمي كل سلعة من الغش، فكيف لا نحمي -بالقانون- عقائد النّاس وأفكارهم؟

معالي الوزير: الحق معك، ولكن المسألة لا يُمكن فيها القانون وحده، مسائل الاعتقاد تحتاج إلى ثورة متجددة لحماية الإسلام وأفكاره ومواجهة المفسدين الذين يدّعون الإصلاح، والمضلّلين الذين يدّعون الإرشاد.

حكم الموالد للموتى وحكم وضع الشمع

وُجِّه إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله:

ما حكم الدِّين في إقامة الموالد للمشايخ، ووضع الشمع والقناديل على مقاماتهم؟

فاجاب: وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، ونفع النَّاس بقول الحقِّ، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على خاتم رسله، محمَّدٍ وعلى اله وصحبه.

الموالد: هي هذه الحفلات الصاخبة، أو المجتمعات السوقية العامة، التي ابتدعها المسلمون في عهودهم المتاخرة باسم تكريم الأولياء، وإعلاء قدرهم ومكانتهم، عن طريق تقديم القرابين، وذبح النُّذور، وإقامة حلقات الذِّكر، وعن طريق الخُطب، والقَصص، والمناقب، والأناشيد، التي تُصوِّر حياة الولي، وتصف تنقله في معارج الولاية، وما يتحدث به النَّاس عنه، وعما يضاف إليه من كشف وخوارق وكرامات.

تقام تلك الحفلات لأولياء المُدن، ولكثير من أولياء القُرى، وقد تُقام حفلة الميلاد في السَّنة الواحدة للولي الواحد مرتين فاكثر، ولهذه الموالد على العموم عُشَّاق يضعونها في مَصافِّ الشئون الدِّينية التي يتقربون بها إلى الله عن طريق الولي، فيحفظون تواريخها، ويهيئون طوال العام لها، حتى إذا ما حلَّ وقتها تراهم يحزمون امتعتهم، ويرتحلون بقضِّهم وقضيضهم، برجالهم ونسائهم، بشيوخهم وشبابهم، ويلقون باحمالهم -كما يقولون- تاركين بيوتهم ومصالحهم في قُراهم ومزارعهم، مدة تتراوح بين أسبوع أو أسبوعين.

والمشايخ الأولياء من جهة تعلق النَّاس بهم والعناية بموالدهم على قيم مختلفة ودرجات متفاوتة؛ فمنهم من يعظُم عند النَّاس جاهه، ويمتد في نظرهم سلطانه، ويتسع صدره لكل لون من الوان الحياة، ولكل رغبة من رغبات الطوائف، حتى لقد ترى حفلات المُقامرين والمقامرات، بجانب حفلات المُدمنين والمُدمنات، وبجانبها حفلات الذَّاكرين والذاكرات، والخليعين والخليعات، الراقصين والراقصات، ويجوس خلال الجميع المتسولون والمتسولات، والنَّشالون والنَّشالات، وكل ذلك يُصنع في الموالد، عليه تقام، وإليها يهرع النَّاس باسم الولاية وتكريم المشايخ.

ومهما قال عُشَّاق الموالد، والمتكسبون بها ومروجوها -من أنَّ فيها ذكر الله والمواعظ، وفيها الصدقات وإطعام الفقراء- فإنَّ بعض ما تراه فيها ويراه كل النَّاس؛ من الوان الفُسوق، وانواع المخازي، وصور التَّهتك، والإسراف في المال؛ ما يحتم على رِجال الشئون الاجتماعية، وقادة الإصلاح الخُلقي والدِّيني، المبادرة بالعمل على إبطالها ومنعها، ووضع حد لمخازيها، وتطهير البلاد من وصمتها، ولقد صارت -بحق- لسُكوت العلماء عنها، ومشاركة رجال الحكم فيها -مباءة عامَّة تُنتهك فيها الحُرمات، وتُراق في جوانبها دماء الأعراض، وتُمسخ فيها وجوه العبادة، وتُستباح البدع والمنكرات، ولا يقف فيها أرباب الدعارة عند مظهر أو مظهرين من مظاهر الدعارة العامَّة؛ وإنما يبتكرون ويبتدعون ما شاء لهم الهوى من صور الدعارة المقوِّضة للخُلُق والفضيلة.

ومن اشد ما يُؤلم المؤمن، أن ترى كثيرًا من تلك المناظر الدَّاعرة تُطوِّق في المدن معاهد العلم والدِّين، ومساجد العبادة والتقوى، على مسمع ومرأى من رجال الحكم ورجال الدِّين، أرباب الدَّعوة والإرشاد.

أمَّا وضع الشمع والقناديل على مقامات الأولياء وكسوتها؛ فينبغي أن يُعرف أولاً: أنَّ الدِّين الحق لا يعرف شيئًا يُقال له: (مقامات الأولياء)، سوى ما يكون للمؤمنين المتقين عند ربهم من درجات، وإنَّما يعرف كما يعرف الناس أن لهم قبورًا، وأن قبورهم كقبور سائر موتى المسلمين، يحرم تشييدها وزخرفتها، وإقامة المقاصير عليها، وتحرم الصلاة فيها وإليها وعندها، وبناء المساجد من أجلها، والطواف بها، ومناجاة من فيها والتمسح بجدرانها، وتقبيلها والتعلق بها، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها، ويحرم إيقاد شموع، أو ثُريَّات حولها، وكل ذلك مما نرى ويتهافت الناس عليه ويتسابقون في فعله على انه قربة لله، أو تكريم للولي؛ خروج عن حدود الدين، ورجوع إلى ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى، وارتكاب لما حرمه الله ورسوله في العقيدة والعمل، وإضاعة للأموال في غير فائدة، بل في سبيل الشيطان، وسبيل للتغرير بأرباب العقول الضعيفة، واحتيال على سلب الأموال بالباطل.

أما بعد: فهذا هو حكم الدين في الموالد، وهذا هو حكمه فيما يُصنع بمقامات الأولياء، فمتى يتنبه المسلمون ويعودون إلى الهدي الحقّ؟ ويتقربون إلى الله بما يرضاه الله مما شرعه على لسان رسوله ﷺ، وتقرَّب به إليه أولياؤه، الذين آمنوا وكانوا يتقون، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها.

لو كان المولد حقًا لسبقنا السلف الصالح إليه:

قال فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله «مفتي الديار المصرية»:

«عمل الموالد بالصفة التى يعملها العامة الآن لم يفعله أحد من السلف الصالح ولو كان ذلك من القُرب لفعلوه».

من الآداب الإسلامية الحلقة السادسة

أحكام يوم الجمعة وفضله وآدابه

السلام على من ينصت لخطبة الجمعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

إعداد/ سعيد عامر

د - السلام على مستمع خطبة الجمعة

صلاة الجمعة فرض عين على كل مكلف من غير أصحاب الأعذار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]. قيل: «ذكر الله» هو صلاة الجمعة، وقيل: هو الخطبة، فكل ذلك حجة؛ لأن السعي إلى الخطبة إنما يجب لأجل الصلاة، بدليل أن من سقطت عنه الصلاة لا يجب عليه السعي إلى الخطبة، فكان فرض السعي إلى الخطبة فرضًا للصلاة، ولأن ذكر الله يتناول الصلاة ويتناول الخطبة من حيث إن كل واحد منهما ذكرٌ لله تعالى. [راجع نيل الأوطار].

وروى أبو داود والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، أن النبي ﷺ قال: «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض».

ويستحب للمرأة صلاة الجمعة، بعد استئذانها زوجها أو وليها في الخروج، ويشترط عدم الفتنة، وصاحب العذر إذا صلّى الجمعة أجزأته عن صلاة الظهر.

وقد شرعت صلاة الجمعة في أول الهجرة، عند قدوم النبي ﷺ المدينة، قال الحافظ ابن حجر: الأكثر أنها فرضت بالمدينة، وأول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه، كانت في قبيلة بني سالم بن عوف، وذلك عندما قدم النبي ﷺ إلى المدينة مهاجرًا، وثبت أيضًا أن سعد بن زرارة أول من جمع الناس لصلاة الجمعة في المدينة، وكان ذلك بأمر النبي ﷺ قبل أن يهاجر من مكة.

ويجب السعي لصلاة الجمعة، وترك معاملات البيع والشراء خاصة عند الأذان الأول أو الثاني، ويسن التبكير في الخروج إلى الجامع والاشتغال بالعبادة إلى أن يخرج الخطيب.

ويجب على الحاضرين الإنصات للخطبة من حين يبدأ الخطيب بها، فإذا صعد الخطيب المنبر للخطبة، يجب على الحاضرين ألا يشتغلوا عندئذ بصلاة ولا كلام إلى أن يفرغ من الخطبة، فإذا بدأ الخطيب بالخطبة تأكد وجوب ذلك أكثر، وكل ما حرم في الصلاة حرم في الخطبة، وسواء أكان الجالس في المسجد يسمع الخطبة أم لا. (راجع المغني ٢/٣٢٠).

والخلاف فيما إذا دخل الرجل والخطيب يخطب، ذهب الحنفية والمالكية، إلى أن يجلس ولا يصلي، وذهب الشافعي وأحمد إلى أنه يصلي ركعتين خفيفتين قبل أن يجلس، تحية المسجد.

ولا يجوز الكلام لأحد الحاضرين، وإذا سمع الإنسان متكلمًا لم ينهه بالقول، ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قُلْتَ لصاحبك: أنْصتْ يومَ الجمعة والإمامُ يخطُبُ فقد لَغَوْتَ».

وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «مَن اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قُدِّرَ له ثم أنْصَتَ حتى يَفْرُغَ الإمام من

خطبته ثم يصلي معه، غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفَضْلُ ثلاثة أيام».

فضَّل الله بعض الأيام على بعض، فهناك أيام مفضلة من العام إلى العام ؛ كيوم عرفة، والأيام العشر، وليالي من السنة إلى السنة؛ كليلة القدر، وشهر من بين الأشهر كشهر رمضان، وهناك يوم كل أسبوع هو يوم الجمعة، خير يوم طلعت عليه الشمس، هذا اليوم الذي فضله الله، هدى أمة الإسلام إلى تعظيمه وتكريمه بالاجتماع لعبادته، فَتَجَمَّعَ في المدينة قبل الهجرة مسلموها، وصلى بهم أسعد بن زرارة، فيوم الجمعة سوق حسنات، وفضله كبير، فما أسعد من أفاد من هذه السوق، فسعى إلى المسجد مبكرًا مغتسلاً متطيبًا، فانصت للخطبة وصلى ما كُتب له، وما أشقى من نكص على عقبه واستهواه الشيطان، فانساه ذكر الله وحال بينه وبين حضور صلاة الجمعة، أو حضر ولكنه مس الحصا وشغل نفسه عن الخطبة باي من المشاغل، ولم ينصت، وصلاة الجمعة حظيت بجماعة لم تحظ بها صلاة، فكل صلاة تصح فرادى غير صلاة الجمعة، وكل صلاة تصح بدون خطبتين سابقتين غير صلاة الجمعة، وكل صلاة لا تقوم مقام صلاة أخرى ولا تسد مسدها غير صلاة الجمعة التي تقوم مقام صلاة الظهر، لهذا الوضع الفريد لصلاة الجمعة كانت جديرة بدقة وقتها، وفي الاستماع والإنصات للخطبة، ومن المقرر أن رسول الله ﷺ لم يصلِّ الجمعة بدون الخطبتين، وجلوس الخطيب على المنبر قبل الخطبة- أثناء الأذان بين يديه- الحكمة فيه سكون اللغط والتهيؤ للإنصات، ولذا كان من آداب الخطبة الاستماع لها والإنصات وعدم التلهي، وعدم الانشغال عنها بأمور الدنيا، بل إن الأمر بالمعروف ممنوع أثناء خطبة الجمعة، «وإذا قلت لصاحبك والإمام يخطب أنصت فقد لغوت». ففيه أمر بالإنصات التام.

فإذا امتنع الأمر بالمعروف وهو أمر اللاغي بالإنصات مع قصر زمنه، فمنع التشاغل بالتحية مع طول زمنها أولى، فقال أهل العلم: لا سلام على من ينصت إلى خطبة الجمعة، لوجوب الإنصات والنهي عن الكلام ولو كان أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر، فلا سلام في حال خطبة الجمعة ويكره الابتداء به، فإن سلم لم يردوا عليه لتقصيره، وكذلك لا يسلم على العالم حين يُعلِّم، ولا على مستمع العلم حين يستمع، لما في ذلك من صرفهما عن فضيلة التعليم والتعلم ومن شغل خاطرهما بغير العلم.

هـ- السلام على قاضي الحاجة

لا يشرع السلام على من يقضي حاجته في الخلاء، لأن الحال والمكان لا يتناسب معهما ذكر الله عز وجل، ومن سلم لا يستحق الجواب، روى مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما «أن رجلاً مرَّ ورسول الله ﷺ يبول، فسلم فلم يرد عليه». وفي رواية لابن ماجه: عن جابر رضي الله عنه، أن رجلاً مرَّ ورسول الله ﷺ يَبول، فسلم عليه، فقال النبي ﷺ: «إذا رأيتني على مثل هذه الحال فلا تسلم عليَّ، فإنك إن فعلت ذلك لم أرد عليك».

وعند مسلم عن عبد الرحمن بن هُرْمُزَ... فقال أبو الجهم: أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر جَمَلٍ فلقيه رجلٌ فسلم عليه، فلم يَردَّ رسول الله ﷺ عليه، حتى أقبل على الجدار فمسح وجهه ويديه، ثم رد عليه السلام، وعليه فلا يستحق المسلم في تلك الحال جوابًا. قال النووي: هذا متفق عليه. ثم قال: ويكره أن يسلم على المشتغل بقضاء حاجة البول والغائط، فإن سلم عليه كره رد السلام.

أما السلام على مَن في الحمام الذي لا تُقضى فيه الحاجة. قال إبراهيم النخعي: إن كانوا يستحمون في الحمام وعليهم إزار فلا بأس بالسلام عليهم، وإن كانوا عراة فينهى عن السلام عليهم حتى لا يذكروا اسم الله وهم على حالة لا تليق، ولكونهم أشبه بمن يقضي حاجته في بيت الخلاء.

وعليه ؛ فإذا كان الإنسان يغتسل في بيته في موضع طاهر وعليه إزاره، فلا بأس بالسلام عليه، فعن أم هانئ قالت: أتيت النبي ﷺ وهو يغتسل وفاطمة تستره فسلمت. رواه مسلم.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الرزق بين الشك واليقين

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالى خَلَقَ جميع المخلوقات، وقدَّر لهم أرزاقهم إلى يوم الدين، فلا تزيد هذه الأرزاق ولا تنقص عما قدره الله سبحانه لعباده، إن الحديث عن الغلاء وارتفاع الأسعار قد كثر بين الناس في كل مكان، من أجل ذلك أردت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بأنه لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها الذي قدره الله تعالى لها، فأقول وبالله التوفيق:

الله ضَمِنَ أرزاق جميع المخلوقات

قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

قال الحسن البصري: السحاب فيه والله رزقكم، ولكنكم تُحرمونه بخطاياكم وأعمالكم.

[تفسير الطبري ٢٦/٢٠٥].

قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾، يقول تعالى ذكره مقسمًا لخلقه بنفسه: فورب السماء والأرض، إن الذي قلت لكم أيها الناس: إن في السماء رزقكم وما توعدون لحقٌ، كما أنكم تنطقون. [تفسير الطبري ٢٦/٢٠٦].

الله قدر أرزاق الخلائق في أربعة أيام:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾

[فصلت: ٩- ١٠].

قال ابن جرير: إن الله تعالى أخبر أنه قدَّر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش. [تفسير الطبري ٢٦/٢٠٦].

قال عكرمة: في كل أرض قوت لا يصلح في غيرها، اليماني باليمن، والسابوري بسابور.

[تفسير الطبري ٢٥/٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

قال ابن كثير: أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريِّها، وبريِّها، وأنه يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ومُستودعها. [تفسير ابن كثير ٧/٤١٤].

قال ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مستقرها، حيث تأوي (أي تعيش) ومستودعها حيث تموت. [تفسير الطبري ١٢/٢].

خزائن الأرزاق لا حدود لها عند الله تعالى

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ١٩- ٢١].

قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ أي: وإن من شيء من أرزاق الخلق ومنافعهم إلا عندنا خزائنه، يعني المطر المنزل من السماء ؛ لأن به نبات كل شيء.

قال الحسن البصري: المطر خزائن كل شيء.

[تفسير القرطبي ١٠/١٩].

وقال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أي: ولكن لا ننزله إلا على حسب مشيئتنا وعلى حسب حاجة الخلق إليه، كما قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾

[الشورى: ٢٧]. (تفسير القرطبي ١٠/١٩).

الشيطان يخوف الإنسان من الفقر

قال الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

قال ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية: يعني بذلك تعالى ذكره: الشيطان يعدكم أيها الناس بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم أن تفتقروا بالفحشاء. يعني: ويأمركم بمعاصي الله عز وجل، وترك طاعته، والله يعدكم مغفرة منه. يعني أن الله عز

وجل يعدكم أيها المؤمنون، أن يستر عليكم فحشاءكم، بصفحه عنكم عن عقوبتكم عليها، فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون، وفضلاً؛ يعني: ويعدكم أن يُخلف عليكم صدقتكم، فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم من أرزاقكم. [تفسير الطبري ٨٧/٣، ٨٨].

وقال ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ يعني تعالى ذكره: «والله واسع» الفضل الذي يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه «عليم» بنفقاتكم وصدقاتكم التي تنفقون وتتصدقون بها، يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم. [تفسير الطبري ج٣ ص٨٩].

قال ابن عباس: «اثنان من الله، واثنان من الشيطان: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾، يقول: لا تنفق مالك، وأمسكه عليك، فإنك تحتاج إليه، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه، على هذه المعاصي، وفضلاً في الرزق». [تفسير الطبري ٨٨/٣].

وجوب التوكل على الله مع الأخذ بأسباب الرزق:

أمرنا الله تعالى بالتوكل عليه سبحانه مع السعي في الأرض لطلب الرزق الحلال، فقال الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين أن يتوكلوا عليه: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤]، وقال جل شأنه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨].

قال سبحانه آمرًا عباده المؤمنين بالسعي في الأرض والأخذ بأسباب الرزق الحلال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال جل شأنه: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

ولقد أرشدنا نبينا محمد ﷺ إلى السعي والأخذ بأسباب الرزق الحلال في كثير من أحاديثه الشريفة، وسوف نذكر بعضًا منها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه». [صحيح البخاري ١٤٧١].

٢- وعن المقدام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده. [البخاري ٢٠٧٢].

وما أجمل أن يستيقظ المسلم مبكرًا لطلب الرزق الحلال، متبعًا سنة نبينا محمد ﷺ.

٣- عن صخر الغامدي أن النبي ﷺ قال: اللهم بارك لأمتي في بكورها، قال: وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم أول النهار، وكان صخرٌ رجلاً تاجرًا وكان إذا بعث تجارة بعثهم أول النهار فأثرى وكثر ماله. [صحيح الترمذي ح٩٨٦].

٤- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا». [صحيح الترمذي ١٩١١].

الدعاء من أسباب الحصول على الأرزاق

اعلم أخي الكريم؛ أن اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء، من أعظم أسباب الحصول على الأرزاق، وذلك مع الأخذ بالأسباب المادية، ولو كانت بسيطة للحصول على هذه الأرزاق، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال جل شأنه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال سبحانه: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». [البخاري حديث ٧٤٩٤].

روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم.

مريم ابنة عمران تأخذ بأسباب الرزق

لقد ذكر لنا الله تعالى مثالاً واضحًا في كتابه العزيز للأخذ بأسباب الرزق، وذلك عند الحديث عن ميلاد عيسى عليه السلام، حيث قال سبحانه عن مريم ابنة عمران، عليها السلام: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي

وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢، ٢٦].

قال القرطبي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾.

استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتومًا، فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه، لأنه أمر مريم عليها السلام بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بالا تهز، والأمر بتكليف الكسب في الرزق سنة الله تعالى في عباده، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، خلافًا لما يقوله جُهال المتزهدة. [تفسير القرطبي ١١/١٠٢].

الإيمان بأن الأرزاق مضمونة وصية نبوية

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء.

[مسلم حديث ٢٦٥٣].

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة».

[البخاري حديث ٣٢٠٨، ومسلم حديث ٢٦٤٣].

٣- روى أبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينالُ ما عنده إلا بطاعته».

[صحيح الجامع للألباني ح٢٠٨٥].

٤- عن أبي حفصة قال: قال عُبادة بن الصامت لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني».

[صحيح أبي داود للألباني ٣٩٣٣].

٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف.

[صحيح الترمذي ٢٠٤٣].

٦- روى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الرزق ليطلبُ العبدَ أكثر مما يطلبه أجلُهُ. [حديث حسن. صحيح الجامع للألباني ١٦٣٠].

سؤال هام

هناك سؤال هام يتردد كثيرًا في أذهان كثير من الناس ؛ ألا وهو: ما حُكم سفر المسلم إلا بلاد غير إسلامية من أجل العمل وكسب المال ؟

فنقول- وبالله تعالى التوفيق-: لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد غير إسلامية للعمل فيها والحصول على المال؛ لما في ذلك من التعرض للفتن، إلا عند ضرورة شرعية وهي:

١- أن يكون السفر من أجل العلاج الذي لا يتوفر في دولة مسلمة.

٢- طلب علم دنيوي فيه خدمة للإسلام والمسلمين.

٣- أن يكون المسافر من الدعاة إلى الله تعالى، بشرط أن يأمن الفتنة في دينه ومحصنًا من الشبهات، وكان يرجو التأثير فيهم وهدايتهم للإسلام.

٤- أن يكون محصنًا من الشهوات بزواجه، أو اصطحاب زوجه معه؛ لتجنب فتنة ما هم فيه من إباحية.

ويحرم أيضًا على المسلم الحصول على جنسية دولة غير مسلمة ؛ لأن ذلك وسيلة إلى موالاتهم والموافقة على ما هم عليه من الباطل.

روى أبو داود عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين». [صحيح أبي داود للألباني ٢٣٠٤].

المعاصي تزيل نعم الله عن عباده:

إذا كانت الطاعات هي سبيل الحصول على البركة من أرزاق الله تعالى، فإن المعاصي وارتكاب المحرمات هي سبيل إزالة هذه الأرزاق عن عباد الله تعالى في كل مكان وزمان، وقد ذكر الله تعالى أمثلة كثيرة لأقوام أنزل الله عليهم غضبه وعقابه وأزال عنهم نعمه الكثيرة، وذلك بسبب كفرهم بالله تعالى ومحاربتهم لرسلهم الذين أرسلهم الله إليهم، وارتكابهم المعاصي والمنكرات وإصرارهم على ذلك وسوف نذكر بعضًا من

هذه الأمثلة.

١- هلاك قوم سبأ:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥- ١٧].

٢- انتقام الله من أهل القرية المطمئنة

قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

٣- انتقام الله من صاحب الجنتين:

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٣٢-٤٤].

٤- هلاك فرعون وقومه:

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٢-٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣٧].

٥- هلاك قارون وأمواله:

قال سبحانه: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٧٦-٨٣].

وختامًا: أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا إلى ما يرضيه، وأن يرزقنا جميعًا رزقًا حلالاً طيبًا مباركًا فيه، وأن يرفع عنا الغلاء، وأن يجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين.

إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حدث في مثل هذا الشهر

١ - غزوة دومة الجندل ووفاة أم سعد بن عبادة سنة ٥هـ

قال ابن إسحاق: غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل، قال ابن هشام: في ربيع الأول يعني: من سنة خمس، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، قال ابن إسحاق: ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيدا، فاقام بالمدينة بقية سنته، هكذا قال ابن إسحاق، وقد قال محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا: أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام، وقيل له: إن ذلك مما يفزع قيصر، وذكر له أن بدومة الجندل جمعًا كبيرًا، وأنهم يظلمون من مر بهم، وكان لها سوق عظيم، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فندب رسول الله ﷺ الناس، فخرج في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة يقال له: مذكور هاد خرِّيت، فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بني تميم، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبرُ أهلَ دومة الجندل، فتفرقوا، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحدًا فأقام بها أيامًا، وبث السرايا، ثم رجعوا، وأخذ محمد بن سلمة رجلاً منهم فأتى به رسول الله ﷺ، فسأله عن أصحابه، فقال: هربوا أمس، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة. قال الواقدي: وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر سنة خمس، قال: وفيه توفيت أم سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه: عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيد وهو يقتضي أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهرًا، فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله.

[البداية والنهاية ٤/٩٢]

٢ - بعث علي بن أبي طالب إلى طيء قبيلة حاتم الطائي سنة ٩هـ

زعم الواقدي أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب في ربيع الآخر من سنة تسع إلى بلاد طيء فجاء معه بسبايا فيهم أخت عدي بن حاتم، وجاء معه بسيفين كانا في بيت الصنم يقال لأحدهما الرسوب والآخر المخذم، كان الحارث بن أبي سمر قد نذرهما لذلك الصنم.

[البداية والنهاية ٥/٦٨].

٣- الطعن من أئمة بغداد وعلمائهم في نسب الفاطميين سنة ٤٠٢هـ

قال ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»: في ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين (الروافض) وهم ملوك مصر، وليسوا كذلك، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدثين، وشهدوا جميعًا أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار، ابن معد بن إسماعيل بن عبدالله بن سعيد- لا أسعده الله- فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيدالله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون بسبب، وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحدا من أهل بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا في الحرمين وفي أول أمرهم بالمغرب، منتشرًا انتشارا يمتنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهْم إلى تصديقهم فيما ادعوه، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون، وللإسلام جاحدون ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، قد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسبُّوا الأنبياء، ولعنوا السلفَ، وادعوا الربوبية.

قلت: ومما يدل على أن هؤلاء أدعياء كذبة، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء والأئمة الفضلاء، وأنهم لا نسب لهم إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى فاطمة، كما يزعمون قول ابن عمر رضي الله عنهما للحسين بن علي رضي الله عنهما حين أراد الذهاب إلى العراق، وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه، فقال له ابن عمر: لا تذهب إليهم، فإني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدَكَ قد خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة؛ فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك، فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول من هذا الصحابي الجليل، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبدالله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى ابن مريم رغبة بهم عن الدنيا وأن لا يدنسوا بها، ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت كما نص عليه سادة الفقهاء، وقد صنف القاضي الباقلاني كتابًا في الرد على هؤلاء وسماه كشف الأسرار وهتك الأستار، بين فيه فضائحهم وقبائحهم ووضح أمرهم لكل أحد، ووضوح أمرهم ينبئ عن مطاوي أفعالهم وأقوالهم، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم: هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض. والله سبحانه أعلم. [البداية والنهاية ١١/٣٤٦].

٤- ولادة الحافظ عبدالغني المقدسي سنة ٥٤١هـ

هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور الحافظ أبو محمد المقدسي، صاحب التصانيف المشهورة، من ذلك: «الكمال في أسماء الرجال»، و«الأحكام الكبرى والصغرى» وغير ذلك ولد بجماعيل في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وهو أسن من عميه الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، والشيخ أبي عمر بأربعة أشهر، وكان قدومهما مع أهلهما من بيت المقدس إلى مسجد أبي صالح خارج باب شرقي أولاً، ثم انتقلوا إلى السفح فعرفت محلة الصالحية. بهم فقيل لها الصالحية فسكنوا الدير وقرأ الحافظ عبدالغني القرآن وسمع الحديث، وارتحل هو والموفق إلى بغداد سنة ستين وخمسمائة، فأنزلهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة، وكان لا يترك أحدا ينزل عنده، ولكن توسم فيهما الخير والنجابة والصلاح، فأكرمهما وأسمعهما، ثم توفي بعد مقدمهما بخمسين ليلة رحمه الله، وكان ميل عبدالغني إلى الحديث وأسماء الرجال وميل الموفق إلى الفقه، واشتغلا على الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي وعلى الشيخ أبي الفتح ابن المنى، ثم قدما دمشق بعد أربع سنين.

[البداية والنهاية ١٣/٣٨].

وقفات مع حادثة سب الرسول ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد فوجئ العالم الإسلامي بقيام شرذمة من جهلاء أوربا بسب النبي ﷺ، ومحاولة الانتقاص من قدره بين الناس بنشر رسوم مسيئة في صحيفة «يولاندس بوستن» الدنماركية يوم ٣٠/٩/٢٠٠٥م، ثم تبعتها صحيفة «مغازيت» النرويجية و«فرانس سوار» الفرنسية، و«دي فيلت»، و«برلين زيتونج» الألمانيتين، وبعض الصحف الأسبانية والهولندية، ثم قام هؤلاء الجهلاء بتكرار نشر هذه الرسومات المسيئة بعد مرور أكثر من عامين على النشر الأول، مُصِّرين على الإساءة لنبينا ﷺ وديننا، ولنا مع هذه الحادثة الوقفات التالية:

إعداد المستشار/ **أحمد السيد على**

الوقفة الأولى: حكم من سب النبي ﷺ:

أجمع أهل العلم على أن ساب النبي ﷺ إن كان مسلمًا فإنه يكفر، وحَدُّه القتل، أما إن كان كافرًا، ذميًا أو معاهدًا أو محاربًا فقد اختلف العلماء في حكمه، فحكى عن مالك وأهل المدينة والليث وأحمد وإسحاق والشافعي أنه يقتل، وحكى عن النعمان أنه لا يقتل، وقال: الذي هم عليه من الشرك أعظم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣]، فجعل همهم بإخراج الرسول من المحفزات على قتالهم، وما ذاك إلا لما فيه من الأذى، وسبه أغلظ من الهم بإخراجه، والآيات والأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى، ولعدم القدرة على تطبيق هذا الحد الآن نقول:

الوقفة الثانية: سنة الله فيمن لا يقدر المسلمون على الانتقام منه:

اعلموا- رحمكم الله- أن الله سبحانه ينتقم لرسوله ويكفيه إياه، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥]، وقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، فكل من شناه وأبغضه وعاداه فإن الله تعالى يقطع دابره ويمحق عينه وأثره.

وقد أخرج ابن حجر العسقلاني في كتابه النفيس «الدرر الكامنة» ؛ أن النصارى كانوا ينشرون دعاتهم بين قبائل المغول طمعًا في تنصيرهم وقد مهد لهم الطاغية هولاكو سبيل الدعوة بسبب زوجته الصليبية ظفر خاتون، وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولي كبير عقد بسبب تنصر أحد أمراء المغول، فأخذ واحد من دعاة

النصارى في شتم النبي ﷺ، وكان هناك كلب صيد مربوط، فلما بدأ هذا الصليبي الحاقد في سب النبي ﷺ، زمجر الكلب وهاج، ثم وثب على الصليبي وخمشه بشدة فخلصوه منه بعد جهد، فقال بعض الحاضرين: هذا بكلامك في حق محمد عليه الصلاة والسلام، فقال الصليبي: كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أني أريد ضربه، ثم عاد لسب النبي ﷺ وأقذع له السب، عندها قطع الكلب رباطه ووثب على عنق الصليبي وقطع زوره في الحال، فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم نحو أربعين ألفًا من المغول». اهـ «الدرر الكامنة» (ج٢ ص٢٠٢).

الوقفة الثالثة: الوقوع في عرض النبي ﷺ سبب من الأسباب المؤدية إلى إذلالهم:

وهذه بشارة ننقلها إلى المسلمين في جميع العالم، أن إذلال من فعل ذلك لا ريب فيه وليس أدل على ذلك من الآتي:

أ- كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لم يسلم لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله، فثبت الله ملكه، أما كسرى فمزق كتاب رسول الله ﷺ واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزق ملكه كل ممزق.

ب- ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»، قال: «ونظير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس، فإذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه، سَهُل فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوه فيه». اهـ.

الوقفة الرابعة: حقيقة الصراع بين الحق والباطل

خلق الله سبحانه وتعالى الإنس والجن لغاية عظيمة هي عبادته سبحانه، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وانقسم الناس إلى فريقين مؤمنين آمنوا بالله، وكفار أبوا إلا الكفر والعناد، وقد أخبرنا سبحانه وتعالى عنهم قائلاً: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩]، وقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فهؤلاء القوم يخططون للنيل من الإسلام وأهله وبإساءتهم لرسول الله ﷺ، فقد أساءوا للدين، وذلك لأن انتهاك عرض رسول الله ﷺ مُنافٍ لدين الله بالكلية، فإن العرض متى انتهك سقط الاحترام والتعظيم فسقط ما جاء به من الرسالة، فبطل الدين، وإذا تحدث العقلاء وبينوا للناس ذلك خرج علينا صنف من الناس وقالوا أنتم مصابون بعقدة المؤامرة، وتناسوا أن القوم قد أظهروا ما بداخلهم بلسان الحال والمقال، قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ

مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فلقد أعلنها كبيرهم حربًا صليبية على الإسلام والمسلمين، ثم تراجع من شدة الانتقادات التي وجهت إليه ثم قام باحتلال دولتين إسلاميتين، ويحاول تكرار ما حدث مع سوريا وإيران، ثم يخرجون علينا الآن بسب النبي ﷺ.

الوقفة الخامسة: الأسباب التي أدت لهذه الحادثة:

تكمن هذه الأسباب في ابتعاد المسلمين عن دينهم، حتى صدق فيهم قوله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». قيل: يا رسول الله، فمن قلة يومئذ ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت».

[أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٩٥٦].

كما تكمن في الهزيمة النفسية أمام الغرب، وابتغاء العزة بما لديهم، ونسيان ما بين أيدينا، فعن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفيه، فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوّه، لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله».

[رواه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه].

وتكمن أيضًا في عدم اتباع سنة النبي ﷺ وتطبيقها في أنفسنا، بل وقيام بعض المسلمين بالاستهزاء ممن يتمسك بها ووصمه بالتخلف والرجعية.

الوقفة السادسة: طرق مواجهة هذه الحادثة

بداية نُشيد بموقف المسلمين من هذه الحادثة، وكذا موقف العديد من حكومات العالم الإسلامي بما فيها: حكومات بعض الدول العربية، وحيث إننا الآن لا نقدر على تطبيق شرع الله سبحانه وتعالى على فاعل هذا الجرم فلا أقل من الآتي:

١- قطع العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين وبين الدول التي نشرت هذه الرسومات.

٢- مقاطعة منتجات هذه الدول، فقد أكد بيان علماء المدينة المنورة والصادر بتاريخ ٣١/١/٢٠٠٦ على أن المقاطعة الشاملة واجب شرعي وفريضة دينية وكل من يتعامل معهم أو يشتري منتجاتهم أو يروجها أو يبيعها فهو آثم.

٣- التمسك بهديه ﷺ ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

٤- إظهار سيرته ﷺ وبيان عظمته، وأنه أرسل رحمة للعالمين، ونشرها في الآفاق ليعلم هؤلاء الجهلاء من هو سيد المرسلين وخاتم النبيين فيمتنعوا عن تكرار مثل ذلك مستقبلاً.

والله أسأل أن يجعل هذا المقال سببًا في مرافقته ﷺ في الجنة.

معالي الشيخ

إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم آل الشيخ

داعية ... فقدته الأمة الإسلامية

١٣٤٤ - ١٤٢٨هـ

إعداد/ سعد صادق

إذا كانت كل لحظة من لحظات التاريخ تستدعي رجالها وعظماءها ؛ فإن هناك رجالاً وعظماء يصنعون هذا التاريخ نفسه، ويعملون لفتح آفاق لمستقبل مشرق يعود على الإسلام والمسلمين بالخير، ومن هنا احتفى بهم التاريخ، وسجل لهم صفحات مشرقة «المآثر» وجلائل الأعمال.

ومعالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل السابق بالسعودية، هو أحد هؤلاء الرجال العظام الذين صنعوا هذا التاريخ للإسلام والمسلمين.

نشأته

تكمن عظمة هذا الرجل في أمرين ؛ أحدهما: فطري، وهو الاستعداد الذي توافر له من: كمال الخلقة، واعتدال المزاج، وحسن الوراثة عن الوالدين، وثانيهما: مكتسب، وظهر في التربية القويمة، والتعليم، وهذان الأمران قد اجتمعا في شخصية إمامنا الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ- رحمه الله-.

فهو من مواليد ١٣٤٤هـ، وينحدر من أسرة متدينة، عرفت بنزعتها إلى الورع والتقوى، ولا عجب ؛ فأبوه هو: الشيخ محمد بن إبراهيم، وجده هو: الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب، فهو إذن من نسل الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويدعونا هذا الأمر إلى أن نسجل جانبًا هامًا من تاريخ الإمام الجليل ؛ ذلك أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو: صاحب دعوة الإصلاح والتوحيد التي قادها في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، إذ هاله ما رآه من تجمد العقول، وتوقفها عن الحركة الفكرية التي تساير الفطرة النقية، وبفضل الله تعالى نجحت دعوته إذ نبهت العقول وأخرجتها من عزلتها وجمودها بعد طول رقاد فرضه على المجتمع المسلم آنذاك: الدولة العثمانية الحاكمة في ذلك الوقت، وكان من أبرز ما هاله- وهو الأهم- خروج أكثر المسلمين عن العقيدة السلفية، والاتجاه نحو أمور نهى عنها الإسلام أشد النهي، ألا وهي: الاستغاثة بالموتى والنذر لهم

لقضاء الحاجات من ضر ونفع في حين أنهم لا يملكون من أمور حياتهم ودنياهم شيئًا، فضلاً عن أمور غيرهم ممن يدعونهم ويستغيثون بهم، بينما الله تعالى هو الحي القيوم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء.

نادى هذا الإمام في الناس للعودة إلى الإسلام في بساطته، وفطرته، وقيمه التي تتضمنها دعوته النقية من الشوائب والسلبيات.

هذه هي الحقائق الناصعة التي قام بها هذا المصلح العظيم بنشرها في الناس فنجحت وسادت.

مراحل تعليمه

من هذا البيت العظيم في التوحيد، ورث الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم- رحمه الله- هذا الاتجاه العظيم، فهو فرع من هذا البيت الذي شعّ منه نور التوحيد والعلم النافع، فحفظ القرآن منذ نعومة أظفاره في مدرسة عبد الله بن مفيريج بالسعودية، ودرس علم التجويد على يد الشيخ سعد وقاص بمكة المكرمة، ولازم مجالس والده العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ- رحمه الله-، وقرأ عليه في كُتب التوحيد والفقه والنحو، ثم التحق بالمعهد العلمي، ثم تخرج بكلية الشرعية بالرياض عام ١٣٧٦هـ، وكان ضمن الدفعة الأولى، حيث تخرج بتفوق، وكان أحد العشرة الأوائل.

وظائفه العلمية

بعد أن أتم الشيخ إبراهيم مشوار تعليمه، بدأ مشوار حياته العلمية بأنشطة مهمة مختلفة، ففي عهد والده الشيخ محمد بن إبراهيم، تم بناء المرحلة الأولى من المؤسسة الشرعية والقضائية، وكان دور ابنه الشيخ إبراهيم فيها: وضع الركائز الأولى لهذه المؤسسة، ثم تم تعيينه مشرفًا على عدد من الإدارات بها، بعد ذلك، أعقب تعينه مديرًا عامًا بدار الإفتاء، وقد أهّله لهذين المنصبين، ما كان يتمتع به الشيخ إبراهيم من حيوية ونبوغ وتطلع إلى التجديد، ثم صدر مرسوم ملكي بتعيينه نائبًا لسماحة والده الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله-، فبدأ الابن في صنع قرار تطوير هذه الدار، حيث كان الشيخ إبراهيم يستقبل أسئلة مستمعي الإذاعة ؛ إذ كانت هي الوسيلة الوحيدة للإعلام قبل ظهور الإعلام المرئي، ثم يتولى الشيخ الابن عرضها على والده، ثم يتولى هو قراءة أجوبة والده على المستمعين، فأدت هذه الخطوة إلى توسيع انتشار الفتوى عن طريق الإذاعة.

بعد وفاة والده الشيخ محمد بن إبراهيم عُين ابنه الشيخ إبراهيم رئيسًا لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد السعودية خلفًا لوالده، فبدأ الابن في تحديث أقسام مختلفة لرئاسة الإفتاء بشكل يلبي احتياجاتها، ومن أنشطته في هذه الرئاسة: أنه استقطب مئات العلماء والدعاة للعمل في أجهزة إدارات هذه الرئاسة ممثلين لها في الخارج، (في الدول العربية، وللجاليات الإسلامية في دول الغرب)، يؤدون مهام الوعاظ والإرشاد، فكان لهذه الأنشطة في الدعوة الإسلامية أثر كبير ومؤثر

إبان التحولات الكبرى التي شهدتها الحياة بالمملكة العربية السعودية فيما يعرف بـ «فترة الطفرة».

في وزارة العدل

ثم صدر مرسوم ملكي بتعيين معالي الشيخ إبراهيم وزيراً للعدل، فشهدت هذه الوزارة عدة أنشطة تطويرية في شتى أجهزتها، سارت على النحو الآتي: وضع الخطوط العريضة لنظام المرافعات- ثم إنجاز الأنظمة القضائية، لتكفل سرعة سير العمل، وجودة الإنجاز- تدريب موظفي وزارة العدل للعمل بالإدارات القضائية الجديدة التي أنشأها معاليه، وتؤكد البيانات الإحصائية الصادرة من وزارة العدل على أن عدد المحاكم الشرعية تضاعف في فترة تولي معاليه الوزارة بنسبة ٤١ في المائة، إذ وصل عددها عام ١٤٠٣هـ إلى ١٢٠ كتابة على مستوى المملكة- إيفاد اللجان الميدانية إلى الدوائر الشرعية بالمدن للوقوف على مدى احتياجاتها، وكان معاليه يزودها بتوجيهاته السديدة، لتسير بكل ما يواكب العصر، وتحقيق مصلحة المواطنين وخدمتهم مع عدم الإخلال بالثوابت الشرعية- امتدت إصلاحات معاليه إلى الحقل الإعلامي، فتحولت المؤسسة الصحفية الوليدة في عهد عام ١٣٨٥هـ من إصدار أسبوعي إلى بيت خبرة صحفي تتنافس مع باقي المؤسسات الصحيفة السعودية، لتقفز موازنتها العامة من بضعة آلاف إلى عشرات الملايين من الريالات.

من مشايخه

وعلى الجانب الشخصي، عاش سماحة الشيخ إبراهيم- رحمه الله- مع الناس بتواضع العلماء، وحنان الوالد، والمرشد المعلم، فحرص على أن يكون قريباً ممن كانوا حوله من الناس، كان له مجلس يومي بعد صلاة المغرب ؛ يستقبل فيه الجميع من مختلف المستويات، حتى تحولت هذه اللقاءات الأخوية إلى ملتقى للحوارات والنقاشات العلمية والشرعية وتدارس هموم القضاء، ومتاعب الدعوة ومستجدات العصر، فما كان يبخل على الحاضرين مجلسه بما عنده من حلول فقهية وإلى جانب ذلك، كان مجلساً يطرح فيه أصحاب الاحتياجات الخاصة ما يشغلهم، فيعمل سماحته على حلها بما يريح نفوسهم، ويقلل من مشكلاتهم.

هكذا كانت حياة معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ- رحمه الله- حافلة بالعلم والمعرفة والعطاء، وكانت أنشطته كثيفة بالخيرات والهمم، تعمل لخير الإسلام والمسلمين، وكان يمكن أن يمضي سماحته في العمل والعطاء، ولكن حالت ظروفه الصحية دون المضي في ميادين القيم والخير، فطلب من ولي الأمر- حفظه الله- إحالته على التقاعد آخر عام ١٤٠٩هـ.

انتقل سماحة الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم إلى جوار ربه- وهو أكرم جوار- يوم ١٤٢٨/٣/٩هـ- ١٧/٣/٢٠٠٧م، أجزل الله له المثوبة، وجعل في الصالحات أعماله، وتقبل منه ما بذل وسعي وأعطى خالصاً لوجه رب الكريم.

الآن

بمقر مجلة التوحيد

المجلد الجديد لعام ١٤٢٨هـ

سارع بطلب نسختك وحجزها قبل نفاذ الكمية

مفاجأة

... لا تحرم
مكتبتك وبيتك
وأولادك من هذا
العلم النافع

التوحيد
١٤٢٨
١٤٢٨

اهدِ نسخة لمسجدك - ونسخة لمكتبتك العامة

- علم نافع وصدقة جارية لا تُفوِّت الفرصة

كرتونة المجلدات أُضيف إليها ذخرٌ جديد
فأصبحت ٣٦ مجلدًا - أقبل على الخير

شرح القصيدة النونية
نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار
جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب
الدرر البهية في بيان المناهي الشرعية

شرح صحيح البخاري

اقتنوا...

مكتبة الطبري

جمهورية مصر العربية - القاهرة - عين شمس
١٤ شارع ١٣٦ من شارع مسجد الوطنية - خلف سنترال النزهة
tabari24@gmail.com

فضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين

شرح صحيح البخاري

ميزات طبعتنا:

١. الطبعة الوحيدة التي احتوت على تعليقات العلامة ابن باز على صحيح البخاري كاملا.
٢. مصححة منقحة.
٣. احتواؤها على كل ما شرحه العلامة ابن عثيمين على صحيح البخاري.
٤. سعرها لا يقبل المنافسة.
٥. طبعة كاملة في ٨ مجلدات فقط.

0122425479
Des. Hesham Hosain

طبعات فاخرة _ ورق شمواة _ ٢ لون

سعر خاص للمؤسسات الخيرية - والمعاهد العلمية

مكتبة الطبري

محمول: ٠١٠٦٦٨١٠٧٩ - ٠١٦١١٦٦٣٣٣٤ - ٠١٦٧٨٨٨٧٦٣ تليفاكس: ٠٢٢٢٩٦١٨٣٠
القاهرة (العقيدة ٠٢٥١٤٣١٧٤) (العلم ٠٢٢٣٩٠٩٨٣٩) (الصفوة ٠٢٢٥٧٧٤٩٢١)
طنطا (الصحابة ٠٤٠٣٣٣١٥٨٧) المنصورة (فياض ٠٥٠٢٢٦٧٣٩٨) الإسكندرية (البصيرة ٠٣٥٩٠١٥٨٠)